

روايات مصرية للحب



أسطورة

ما وراء الطبيعة

بيت الأشباح

67

رياحين

د. محمد رضا الدرويش



روايات مصرية للحب

ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والإثارة

أسطورة بيت الأشباح

ما رأيكم في قصة جديدة ؟

لن تكون قصة عن كتاب منسى يحاول بعض العلماء جمعه ،
ولا عن قرية أمريكية يتحول أهلها إلى خيول ، ولا عن أشياء
تتحرك أو أشخاص يقدرون على ذلك .. لن أحدث عن رقم
مشنوم ولا ملك ذئب ولا مومياء لها حارس عصى المراح ..
اليوم أحدث عن موضوع مبتكر تماماً لم يسبقني أحد في
الكلام عنه .. أحدث عن
بيت أشباح !



د. محمد الزهرني



العدد القادم

أسطورة أرض الخفاف

المؤسسة

العربية الحديثة

تدبر ونشر والتوزيع الخاصة بالأسطورة



الشيخ فاس مفسر
وما يعمله بالدولار الذي
من سائر الدول العربية والعالم

المقدمة

١- (نجيب السعدوني) مزية مهمة هي أنه ممل ..

المملون في كل مكان من حولنا ، والثور على واحد ليس بأسهل من نظرة إلى مرآة الحمام أو فتح النافذة والنظر إلى الشارع ، لكن (نجيب) ممل إلى درجة مثيرة .. إلى درجة شائقة متجددة ..

هناك قصة حكاها (مارك توين) عندما ألقى خطاباً على جمهور متشكك في أمريكا ، فألقى دعاية سخيفة .. وظل الناس يرمقونه في بلادة .. من ثم كرر الدعاية ثانياً بنفس الكلمات .. من جديد ظلوا يرمقونه بلا أي تعبير على الإطلاق .. كرر الدعاية السخيفة للمرة الثالثة والعرق بنفسه منه ، فبدأت الضحكات تتعالى ، وفجأة انفجر الجالسون في الضحك وتنفس الصعداء .. لقد قهرهم بغباله وممله .. والغربيون يقولون : هذا سبب لدرجة أنه ممتع ..

هكذا قضيت ألين ليلة في حياتي مع (نجيب السعدوني) يتحدثني فيها بأرائه في الحياة .. تلك الكليشيهات التي فقدت معناها من كثرة التكرار ، على غرار (الحياة كفلاح) .. (الصديق وقت الضيق) .. (الطمع يقل ما جمع) .. (كل لبيب

تهيم

تعشق (راتية) شيئاً ما ..

حقاً لا أرى ما هو .. أبوها لا يدرى ما هو .. أمها لا تدرى ما هو .. (راتية) لا تدرى ما هو ..

إنها تهيم به حياً وكثيراً ما تجمع عيناها وهي تفكر : لكم أكملنى لو صار لى .. لكن ما هو هذا الذى سيصير لها ؟ من جديد أكرر : أنا لا أرى ما هو .. أبوها لا يدرى ما هو .. أمها لا تدرى ما هو .. (راتية) لا تدرى ما هو ..

فهو ذلك المزيج الغامض من رائحة السوسن .. رائحة مزيل شعرى فى ثوب اشتاء لفاضى .. تلك القطعة الفوج فى حديقة الجيران .. محبة عابرة فى السماء .. صوت ذلك لقطر قروب الغروب .. لا تعرف إن كان الكروان أم لا نكلها تدعو الله أن يكون كذلك ..

العجيب أنه لا أثر للرجال فى هذا العشق .. ربما يستشاه أفتية هنا أو هناك (عبد العظيم حفظ) أو (هدى شلكر) .. الشباب الأسمر الوسيم الذى ظهر لأول مرة فى ذلك العام واستطاع سوته أن يجد التردد المناسب لأوتار روحها ..

إن (راتية) تعلم .. لكنها لا تعرف بأى شيء تحتم ..

بالإشارة إليهم) .. (لتفوس صلات شديدة) .. ولهى فتهلية بدت أشعر بشئ لا أكرهه إلى هذا الحد .. لرجل الذى يصير على أن يكون مملاً لهذه الدرجة ليس كريهاً أبداً ..

فما التصرفت عقداً لدارى كنت راضياً عن الحياة ، أشعر بتجدد الدم فى عروقى وبدت لأمن فعلاً أن (الحياة كفاك) وأن (الصديق وقت الضيق) وأن (الطمع يقل ما جمع) وأن (كل لبيب بالإشارة إليهم) .. دعك من أن (النفوس صلات شديدة) فعلاً ..

الآن أجلس فى داري ، واصنم على أن أسامس دورى فى جن الحياة جحيماً .. إن انقباء معد كما تعرفون .. ما رأيكم فى قصة جديدة ؟

إن تكون قصة عن كتاب منسى يتحول بعض العلماء جمعه ، ولا عن قرية أمريكية يتحول أهلها إلى حشرات ، ولا عن أشياء تتحرك أو أشخاص يتدرون على ذلك .. إن أحدث عن رقم مشلوم ولا ملك ذئب ولا مومياء لها حارس عصبي المزاج .. لقد بدأ تأثير (نجيب الممدوني) السحري على ..

اليوم أحدث عن موضوع مبتكر تماماً لم يسبقنى أحد فى الكلام عنه ..

أحدث عن بيت أشباح !

(رائية) تهكى .. لكنها لا تعرف علام تهكى ..

تعتقد أنها مخلوقة أحياناً ، ثم تعيد التفكير فتدرك أنها شاعرة .. تمسك بالقدم .. تنظر إلى زينة التبريع بالخارج وتقرر أن تكتب قصيدة جميلة جداً .. تضد كلمت (عبد) (واللهم) (والفراس) (والشجن) (والهمس) كلها في صفحة واحدة حتى تشعر أن الصفحة توشك على الاختناق من الرقة ، ثم تعيد قراءة ما كتبت فبيد لها أقرب إلى الهينين .. بل هو هينين ...

تمزق الورقة وتضحك ..

أنت مراةقة يا فتاة .. هذا كن شيء .. رأيت أضيق معا يعمل فيه من أكل ، قلبك أصغر معا يموج فيه من عواطف .. هذه النشوة كثيرة جداً على جسدك الهزيل ..

تقرر أنها لن تكون شاعرة .. سوف تصبح مهندسة وسوف تصمم ناطحات سحاب يلتقط لها السياح ، الصور مع الكثير من (واو والأود والجلش) ، ثم تقرر أنها ستكون طبيبة وسوف تسافر إلى مجاهل أفريقيا لتعنى بالمرضى الرافدين يرتجلون من الحصر في كواخ من قش ، وسوف يلثم المرضى ظلها عندما تمر جوارهم كما حكى لها د. (رفعت) صديق أبيها عن (نوريس نيتنجال Nightingale) .. سيدة المصباح

روايات مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة

في حرب القرم .. لا .. هي لن تتحمل بكاء الأطفال والدم .. سترحل إلى (فلورنسا) لتتعلم الرسم ...

ثم يأتي المساء فتقرر أنها ستكتفى بالعمل مع اللطيفين في فمضين .. سوف تتضم لهم وتجاهد .. ثم سموت جوار جدار وهي تلفظ اسم (فلمطين) بصوت راجف ..

هنا يقبها الكثر والحزن على وقتها المبكرة شابة جميلة رفيقة ينتشر شعرها الأسود على تراب الوطن .. فتبكي .. تعضغ الملاءة كي تكتم نجاتها .. ولا تنسى قبل أن تنام أن تصير عالمة مثل مدام (كوري) وتكتشف أن الجنون الدوري كلام فارغ .. كن هذا خطأ .. مدرس الكيمياء يقف أمامها كاسف البال نعماً يعترف عن كل الساعات التي عطاها غيرها من أجل جنون خطأ .. مديرة المدرسة تصافحها وتعلن أن المدرسة تشرف بأن تكون مدرسة (رائية) عالمة الكيمياء الحائزة على جائزة (نوبل) لهذا العلم ...

نومها يأتي بلا أحلام على الإطلاق .. والسبب واضح .. إنها تخرج كل المعززون في عقلها الباطن وهي متعطشة ، هكذا عندما تعلم لا يوجد أي شيء ليخرج ..

(راقية) مريضة ..

المرء يحتاج لو كانت ظروفه كى يعرف أن الممرض مريض .. عندما يكتب المراق أو بصمت أو يكسى دون سبب فأنت تقول إن السبب هو أنه مراق ..

لكن عندما يطول الأمر .. عندما تغزو تلك الهالات السود أسفل عينيها .. عندما يشحب جلدها ويرق .. عندما تعضى الليل ساهرة متكررة فى ركن الفراش فى وضع جنونى ، وهى ترمق العالم من فوق حافة الملاءة ، وعندما تغلو بضع لحظات ثم تصحو صارخة .. عندما يضيء (مختار) وزوجته لتور لبيداه ترتبط كورقة ، بينما أخوها الصغير غارق فى نوم كئسج .. طرقت الأظفار الذن لن تفتى العالم فتن يصحوا أبدا ..

عندما يحدث هذا كله يبدأ (مختار) فى التفكير .. بعد التفكير يأتى التأمل .. بعد التأمل يأتى الاستنتاج .. بعد الاستنتاج يأتى اليقين .. (راقية) مريضة ١

احتاج المرور بهذه السلسلة المعقدة بضعة أشهر .. وفى النهاية احتاج لبضعة أشهر أخرى كى يقرر أنها بحاجة إلى مساعدة .. ثم بضعة أشهر كى يقرر أن له صديقاً طبيئاً هو أنا .. لا أرى منى سيقدر أنها بحاجة لطبيب نفسى .. ربما توصل لهذا القرار العبقري قبل أن تموت بالشيوخوخة ..

هكذا وجدت نفسى فى تلك الليلة أجلس معها فى صالون بيتهم ..

يجب أن أقول إنهم لزياء .. (مختار نجيب) محام من رجال الدين ثم يضيعوا مالهم فى الهرء والسفر للخارج لمقابلة المسوخ على أرضها .. إنه يكسب كثيراً ويحافظ على ما يكسبه .. كنت أود أن أصله بلقبك لكن البخل لا يبتاع فيلا بهذه القذامة ..

لكن .. أنت تعرف (مختار) يا أختى ! هل نسيت ؟ ذلك المحامى الشرقيوى الصلخب الذى أرسلت (تجلاء) للعمل عنده ؟ هن نسيت (تجلاء) ؟ اقوعم أنتى .. لوكن .. فما أسف .. أمن المروضوع واعتبر أنك تقبله لأول مرة ..

الفيلا تقع فى شارع هادئ من شوارع المعادى .. فى أية لحظة تشعر بأنه ممرى المفاشرين الخمسة يتقدمهم (مختار) على دراجاتهم بينما كلهم يركض ملاحقاً .. هناك حدائق .. صنعت .. بوابون نوبليون .. لا شئ يحدث على الإطلاق ..

الفيلا كانت ملكاً لنسيخ عاش فيها وحيداً ولم يتزوج قط .. كان من أعيان ما قبل الثورة ثم جاء التأميم ليؤمليه الكثير ، لكنه احتفظ بمال يكفيه كى يقتضى بشئ أولاده فى سعة ، ويقبل إنه كان غريب الأطوار وإن أذا لا يعرف عنه الكثير .. فقط

بعد ما مات ظهر وريث كان يقيم بالخارج من مكان ما وباع القلعة (مختار) .. الحقيقة أنه قصد كمنحله ليعرف ما له وما عليه فالتص (مختار) هذه الفرصة وأتبعه بأن يتابعها منه . كان السور رخيصاً نسبياً بالنسبة لقلعة بهذه المواصفات ، والوريث على كل حال كان راعياً في التخلّص من كل شيء ليعود إلى الخارج .. هكذا سقطت الثمرة ناضجة في يد (مختار) الأريب .. فلم يمض أسبوع حتى كان قد نقل كل منقولاته من بيته القديم في (إمبليه) وباتطبع احتاجت القلعة إلى إصلاحات لا بأس بها ..

كل الغلات تشابه على كل حال .. تشق طريقك عبر ممر مرصوف بالحجارة بين صلين من الأشجار . وأحواض منقبة بزهرة (لادكوتيا) التي لا وجود لها لكن أسمي بها كل زهرة لا أعرف كلها .. هناك أرجوحة معققة فلا تلمس لأن هناك طفلاً في الدار .. دعك من أنها تمنح أحلام الزومانية (رابسة) حين تتأرجح عليها وتشقى أنها منقوية .. هناك عمود نور لو تلمس على شكل فتوى عساق .. هناك منضدة من اللادش تتأثرت فوقها بضلع مجلات أطفال ، وقد تم وضع قطعة حجر عليها كي لا تتلفها الرياح .. حول المنضدة بضعة مقاعد .. لكن هناك حمام سياحة صغيراً من الطراز الذي يغرق فيه أطفال

الأسرة ويموتون ، أو تظلو فوقه جثة امرأة متعطفة لتطبق على كاحلك .. تعرفون هذه الحملات طبعاً .. دعك من القلب لمسور المقترن المتوحش بشع الخنقة سجن لطباع الذي ربطوه إلى حبل يتحرك على حبل آخر معق بالعرض ، بحيث لا يستطيع قلبك إلا التجز في خط طولى أهدى .. فبدأ حول أن يتحرك في خط عرضي شق نفسه لو نثر وسقط للوراء ..

هذا القلب ابتاعه (مختار) من كلية الشرطة ، وهو لقور به جداً .. كانت لي قصص ممثلة مع هذا القلب خاصة في المرة التي رحت أغضله فيها ثم اتضح أنه غير مربوط لأي شيء على الإطلاق ..

لكن هذا ليس مجلي التذكيرت لعامة طبعاً ..

للتصلي إلى (رابيا) للصغيرة الجالسة في منامة حريرية وقد تربعت على مقعد اتصالون ..

« ما المشكلة يا (رابية) ؟ »

هزت رأسها سلماً .. ورفعت رأسى فوجدت (مختار) والقلع كالديهان من وراء الستار كأنه لا يريد أن يفوت حرفاً مما يقال .. كأن الأحق يقظتها أن تصاب بالهلع بهذه الطريقة .. أنا للمسي نسيت من أنا وهو يرمقني بهذه النظرة القذرية .. أثرت له من طرف خفى أن يتعد ثم عدت أسلماً ..

قلت لها :

« سأل السؤال للمرة الأخيرة بعد هذا سارحل .. لن يكون بوسعي مساعدتك ثانية .. صدقتي أنا لا أعرض صداقتي على أحد ولا أرحب بمعرفة شخص جديد ، لهذا عرضي ثمين لن تعرضي قيمته إلا حينما يكبرك أبوك من هو (رفعت إسماعيل) .. (رفعت إسماعيل) آخر القديس لعقودة .. (رفعت) الذي لو كان في عصور الجاهلية تعاش في واد مع لقيان والجنان ، ولرأته القوافل من بعيد يمشي حليلاً مراوة ثقيلة منثراً بفراء لحد .. »

صمتت قليلاً تحاول استيعاب ما قلت ، ويبدو أن الصورة رافت لها لأن شبح التسلمة تلاعب على ثغرها ..

قلت مسرعةً لحيلة جديدة هشة جداً ، فلو أخبرني أحدهم أنها ستقوم بعد دقائق لوافقته على الفور .. لكن بمنتهى جعلت المكان بضوء بالمعنى الحرفي للكلمة ..

قلت لي :

« هناك أشياء .. »

« ومنذ متى لم يكن ذلك ؟ هناك (نيفين) ثلاثة السمجة

العذلة لدى المعلمة والتي تتسلى عليك وتحرش بك .. »

« ما المشكلة يا (رقية) ؟ »

« لا مشكلة .. »

عدت أسئلتها .. ماذا بوسعي أن أفعل بعد هذا كله ؟

قلت لها وأنا لأدوم رغبتى في أن أضعها من قفصها وأطرح بها لأهزم رأسها في الجدار :

« اسمعي يا (رقية) .. فإلم أت هذا للتسمية عليك .. كلنا يعتقد أن هناك مشكلة ومشكلة خطيرة .. والمشاكل الخطيرة تشبه تلك القشرة القديمة للطاعون : ما لم تلتقيه شخص آخر مصوف يقتلك .. هكذا كانوا ينظرون إلى الطاعون في القرون الوسطى .. »

كان في رأسي ألف سؤال ، لكنني كنت أقدر أن (رامي) هو السبب في النهاية .. من (رامي) ؟ هناك واحد دائماً .. ابن الجيران أو زميل المدرسة لو كانت مشتركة .. هذا القديس الرفيع الذي يقضي وقته في كتابة الخطبات المعطرة ويقلها إلى الشرفة ، ولنتيجة هي أن أهله وأهلها يحترقون وينفثون النار ، بينما الوغدان الصغيران غائبان في عوالم الرومانسية و(قالت كحلت الجفون بالوسن) ..

(رامي) هو السبب وسوف أفسده نفساً ، فقط لو انتهت مقاديرها وأخبرتني أن هذا هو التفسير فعلاً ..

- « لا توجد (نيلين) عندنا في الصيف .. »

- « غريب .. هناك (نيلين) أو (سحر) دائما .. لكن ..
هناك تلك المشاكل المتطفة - (راسي) .. إن (راسي) ليس
جدا .. ربما يبدو كذلك .. لكن أي مراهق يعرف كيف يبدو
صاوتا عندما يرفع حاجبيه ويسيل عليه و ... »
صاحت وهي تضرب كفا بكف :

- « د. (زلفت) .. لا أفهم أي حرف عما تتكلم عنه ..
من (راسي) ؟ ومن (نيلين) ؟ »
قالت لها في دهشة :

- « إذن ما سبب مشاكك ؟ »
قالت وهي تأخذ نفسا عميقا :
- « هناك أشباح في هذه الليلا ! »

الجزء الأول

هواجس مراهقة

- « تحريك الآلات والدق وهز الفراش .. هذه هي ألعاب الأشباح
الصباحية .. ومن الغريب أن هناك كلاما عن هذه الأمور في
المعلومات الفرعونية .. يقولون إن هناك ظاهرة تدعى (الظاهرة
الغريبة المسجل) حيث يسب موت شخص في ظروف صعبة
سببا لجملة هائلة للظلال في مكان ما .. ويكرر تضرع هذه الظلال
كأنك تعيد تدوير شريط التسجيل عدة مرات .. يتكرر إلى أن تنتهي
هذه الظاهرة فتزول الظاهرة .. »

-١-

تعال يا (مختار) واجلس .. فى الحقيقة أنا فكرت ففكرت بمسبب هذه الطريقة الدرامية لتنى طينتك بها . لكنى كنت حريصاً على ألا ألقك ثمة (راقية) لتنى أحاطتى بها .. لقد كنت عن لكون (عمو) لأصير صديقها ، نهذاً من تخشاة أن أبعد هذا ..

لأنسحاب كهذه غادرت البيت من دون أن أتبادل كلمة معك ، ثم اتصلت بك عندما وصلت إلى منزلى كى أسمعك .. أريد أن نتكلم على أفراد ههنا .. أرجوك أن يكون ههنا .. أنا لا أطيق الصراخ وأنت تفترض أن كل الناس مصابون بالصمم ولعنه ..

(راقية) فى فترة مراهقة ..

أسمعك تتساءل عن أى شىء جديد جئت به .. أريد أن أقول إن مشيكتها الحادية تنبع من هذا العالم المضطرب الذى تسببه المراهقة فى النفس .. فى اقرب يعتقدون أن هذه هى السن التى للاستحواء .. بيتنا يرى كثيرون إنها السن التى تظهر فيها القدرات الخارقة .. حسن .. فى هذه السن يمكن أن ترى الغفلة رؤى ...

روايت مصرية تلجيب .. ما وراء الطبيعة ١٩

لا أعرف من أين تعلمت (راقية) هذه اللعبة لتنى يمارسها الأطفال اقرب ، لكن ربما قرأت عنها .. إن التيليزيون يعرض كل شىء هذه الأيام ..

إن (مارى) ملكة إنجلترا الرقسية هى التى بدأت كل شىء .. هذه الملكة كانت شرسية لاسية وقد اشتهر عصرها بالمذابح الدينية .. لم تنجب هذه المرأة لحسن حظ التسامح الدينى .. أجهضت عدة مرات ، ويبدو أن هذا مساعد فى اشتعال طينتها الشيطانية ..

فى النهاية ماتت كمفاجأة سارة للشعب الإنجليزي ، لكن الأطفال خلدوها بعبارة (مارى الدموية) .. وكنت اللعبة الشهيرة تقضى بأن يلق الطفل أمام مرآة فى الظلام ويفادى اسمها ثلاث مرات .. أحياناً كانوا يزينون اللعبة إشارة بأن يقول :

« يا (مارى الدموية) .. أنا قتلت أطفالك ! »

طبعا تحمل هذه العبارة الكثير من الاستفزاز للمرأة التى لم تستطع أن تحتفظ بحمل واحد .. المفترض حسب الأسطورة أن يراها الطفل واقفة وراءه فى المرآة ! .. فيما بعد سوف يقتبس كاتب الرعب (كليف باركر Clive Barker) ذات الفكرة ليقدم فيلم رعب شهيراً اسمه (رجل الحوى Candy man) الذى

لا ينبغي أن تنادي اسمه ثلاث مرات أمام المرأة لأنه يأتي دائماً ..

حسن .. (رائية) لم تفعل هذا بالضبط ..

لقد نكّلت الجزء الآخر من اللعبة التي بالتأكيد أخبرها بها لسبقها ..

في هذه الطريقة ثق في الظلام عند أسفل الدرج وتحمل في يدها اليمنى مرآة وفي اليسرى شمعة .. ثم تتراجع صاعدة الدرج بظهرها وهي تنظر في المرأة .. طبعاً هذه طريقة مثلى لكي تقع ويدق عنقها .. فإن لم يدق فعلى الأقل لا بد أن تحدث حريقاً مروعاً .. فإن نجت من هذا صارت تستحق أن ترى ما سكره ..

في لحظة بعينها ترى في المرأة وجه عريس المستقبل ! زوجها القادم يقف خلفها ويتعكس وجهه في المرأة ..

هذه أساليب تم يتعامل معها أحد بجدية قط .. إنها ألعاب أطفال في النهاية ..

نكن (رائية) جريت هذا .. غلبنا على سبيل الفضول وزبنا مدفوعة بكلام الهذات المعناد عن فارس الأخلام الذي سيأتي يوماً ما على حصان أبيض ..

فكرة مرعبة لا تدرسها إلا فئات غارقة في الرومانسية مثل أنتك .. لم أكن قط عن اعتبار الرومانسية والرعب وجهين لذات العملة ، ولست الأحمق الوحيد .. ليس لرعب القوطى ضرباً من الحب الرومانسى ؟ قم يكن أعظم كاتب رعب - إدجار آلان بو - شاعراً بالغ لرقرة ؟

بالنسبة لغير الرومانسيين من أمثالنا يبدو هذا مزيجاً من الخيال والشجاعة الزائدة ..

ما فعلته هو أنها تنظرت حتى نامت الأسرة كلها .. ثم هبطت إلى لطابق الأسفل للقبلا ..

كانت الردهة مظلمة ، لذا توجهت إلى أسفل الدرج وأضعت شمعة بيد راجفة .. لا بد أن عود لتقلب نطفاً عدة مرات فأشعته من جديد ، ثم أدارت ظهرها للدرج وبدأت تصعد .. تصعد .. حينها على امرأة الصغيرة التي تشبه الصولجان والتي كتب على إطارها :

(ما من أحد كامل Nobody's perfect)

لا بد أن لمشهد كان مرعباً .. بقعة من التور تتحرك لأعلى وظلالها تتراقص عملاقة على السقف والجدران ..

والمرأة لا تعكس إلا القلالم الرهيب خلفها : ووجهها الذي جعلته إضاءة الشمعة قلادة من أسفن موهناً ..

تصعد .. تصعد ..

إنها تكترب من أعلى الدرج محاذرة من أن تسقط ..

فجأة ركت وجهها في المرأة...

لم يكن وجهها جميلاً على الإطلاق .. فليس ضوء الشمعة المتراقصة يمكن أن لتصور ما شعرت به ..

كان وجهها مشوهاً منكفئاً امتلاً ببقع زرق وخضير (أو هذا ما قالته لأن ضوء الشمعة زيف الألوان كلها) .. كانه وجه جثة متعفنة غطتها القطرات .. بالتأكيد لم يكن أجمل عريس تحتم به فتاة شابة ..

أجفلت وأطلقت صرخة ..

ثم نظرت إلى الخلف فلم تر أحداً ..

بصعوبة استطاعت ألا تسقط لتهمش خلفها ، ومرعن ما كانت تركز متواثمة فوق الدرجات ..

تطلعت لشمعة فمن حسن حظها أن هناك إضاءة خافتة من الطابق الثاني حيث تغفو الأسرة ..

انقلعت لـحجرة نومها ووثبت في القرش لمجاور لأخيها .. أخيه الذي لو انشقت الأرض لتلظ كل شياطين سقر فلن يصحو .. للمرة الأولى شعرت بأنها سعيدة لنومه الثقيل هذا .. شيء من عالم الواقع .. شيء طبيعى بعد ما رأته .. مرعاً ما كانت تحت الأغطية ترتجف ..

لا داعي لأن أحكى لك عن عشرات التفاصيل لتصفيرة لشي لا يمكن أن ينساها أى مخرج رعب بجيد عمله .. نظرات لدنس الوقحة الموضوععة على المكتب أمامها .. هزير الباب .. لشيء الذي يتحرك في المرأة .. بقعة قنور على وجه أخيها التي توحى بأنه ينظر لها في ثبات مع أن عينيه مغمضتان .. هذا كلام مكرر يوشك أن يصير مملاً ..

الخلاصة أنها كانت أسود ليلة في حياتها ..

لكن ضوء النهار يصل هذه التفورات ..

نقد انتهى الكلبوس ، لكنها كانت تعرف يقيناً أنها لن تجرب هذا ثانية ..

تعارضت في الصباح فلم تذهب للمدرسة ، والسبب هو أنها لم تنم لحظة واحدة طينة الليل .. وقضت اليوم تتذكر التجربة التي عاشتها ليلاً ...

هذا هو الجزء الأول من القصة ..

نعم يا (مختار) .. القصة لم تنته عند هذا الحد ولا
لكن الحياة رائعة ..

فقط اصبر قليلاً وكف عن الصراخ من فضلك ..

- ٢ -

كان (مختار) من الذين لا يشعرون بأنهم في مكان
مريب إلا إذا نزعوا أحذيتهم وترفعوا على مقاعدهم في
وضع أقرب إلى وضع اللوتس الخاص ببوذا ، وقد قرر في
في عصبية وهو يشغل لثلاثة تبغ :

- « حسن .. هذه هواجس مرشقة كما تعرف .. لا بد
أن القلج وضوء الشمعة يشيران الخيال .. لو مررت أنا
للمس بهذه التجربة لرأيت وجه مأمور الضراب في المرأة
أو ما هو أسوأ .. »

قلت وأنا ألتح التليفزيون في الصلاة :

- « بعد هذا حدث أن رأيت هذا الوجه مرتين في مراتها ..
كان يلف وراءها ويضحك تلك الضحكة الغمزة بقوئل .. ثم
بدأت الأشياء تتحرك في غرقتها »

- « أشياء ؟ »

- « نعم .. أحس تنخل تحت الفراش .. المقعد يغير مكانه ..
القلج تسقط إلى الأرض .. لصوات الطرقات في غرفة ليلاً تلك
التي يفتقون عليها rappings .. السيفاريو المعتاد .. »

تسعت عيناه ونفت الاضخان كثيفاً من منخرينه ، وحز رأسه بمعنى : أكمل ..

قلت ولنا أفلق التلفزيون من جديد لأن البرامج مملة :

« هذه القصص كثيرة جداً ومثيرة في أكثر من مكان .. فيما مضى قيل إنها تثير الأشباح الصاخبة (بولترجلايشت poltergeist) ثم قرر العلماء بعد ملاحظة دقيقة أنها قوى تحريك عن بعد لا إرادية^(*) RSPK .. لفئة ترى الأتباء تتحرك لكنها لا تعرف أنها من يفعل هذا .. لو قرأت هذه القصص لخيّل إليك أن كل فئاة مراقة تتحرك الأشياء في غرفتها .. »

« وما تمنع أن تكون هذه حالة (رؤية) ؟ »

« كل أولئك المراقبات لم يرين وجهاً مخيفاً في المرايا .. إن وضع إبهنتك فريد جداً ولك أن تشعر بالفخر .. »

استرخى في مقعده ومد يده بفك ربطة عنقه ، ثم سألني :

« ما هذا الشبح الصاخب الذي تتكلم عنه ؟ »

حككت صلعتي العشاء وقتت له :

Recurrent Spontaneous Psychokinesis .. (RSPK) (*)

أي تحريك تلقائي المتكرر فتلقي

« تحريك الكاث والتقي وعز اللرائ .. هذه هي أفعال الأشباح الصاخبة .. ومن الغريب أن هناك كلاماً عن هذه الأمور في المخطوطات الفرعونية .. يقولون إن هناك ظاهرة تدعى (لفظ المسجل) حيث بسبب موت شخص في ظروف صاخبة عنيفة تجفد اهتلاً للطاقة في مكان ما .. ويتكرر لتلجر هذه الطاقة كأنك تعيد تدوير شريط التسجيل عدة مرات .. يتكرر إلى أن تنتهي هذه الطاقة فتزول لظاهرة .. »

رفع يده محتجاً وهتف :

« لكن هذا كلام علم لا رأس له ولا ذنب .. بكم أبيع هذه الكلمات ومن أي مصرف أستبدنها ؟ »

قلت في خجل :

« هذا حق .. وهذه مشكلة علم (الباريسكولوجي) العتيده برغم كل الجهود الصالحة لـ (جوزيف بنكس راين Rhine) ومن معه .. لا يمكنك الإمساك بحقائق .. »

« وماذا أفعل أنا مع (الرؤية) ؟ لا تقل لي أن أنتظر حتى تنتهي هذه الظاهرة .. »

قلت ولنا آتجه إلى المعطبخ لإعداد بعض اشأى :

« صبقنى إن لى خيرة لا يلس بها لى هذه الأمور ..
هذه الحيوانات تملك حواساً لا نملكها ، وترى وتسمع ما
لا نراه ولا نسمعه .. لو كان هناك شيء مريب واحد لى
هذه الغيلا لكان يقف منتصباً ، وقد انتفض الشعر حول
رقبته ، ولزام بصوت مفزع .. عرفت امرأة لم تكن تلام ليلاً
إلا عندما تتأكد من أن لقط لائم جوارها لى سلام .. كان
هذا يضى لها أن قليلة ستعر على خير .. »

رفعت عنونها ونظرت لى أمل إلى الكتب لتستم .. كيف
لم يخطر لها هذا من قبل ؟ وبدأت نظرة اطمئنان تستقر
على ملامحها ..

هنا - كآه يريد أن يوحى - رفع الوغد رأسه وانصب
ثم انتفض الشعر حول عنقه وبدأ يزوم ..

٢

كل المعقد البلاستيكي يتحرك ..

أعرف هذا وأثق به .. لم أبلغ بعد درجة أن تخدعنى
حواسى .. أنا وأثق معاً أقول ..

المعقد البلاستيكي الذى لا يجلس عليه أحد يتحرك
بخطوات بطيئة دقيقة فوق أرضية الحديقة المكسوة
بالملأط .. نظرت إلى (راقية) فوجدتها لا تنظر إلى المعقد
على الإطلاق .. كانت عيناها على الكلب العنوتر الذى وقف
لى وضع كئلى معتد وهو يزوم مهبداً .. خالداً ..

تحرك المعقد بضعة سنتيمترات ثم توقف ..

انفرت من جديد إلى (راقية) فراقبتها تنظر لى وهى
تهتمم بهتسامة تشق خاتمة .. هل رأيت أيها الأحق ؟

قلت وأنا أنهض :

« لقد تحرك المعقد !! »

قلت دون أن تبدل من وضعها :

« قل لى منذ متى كُنت المقاعد عن الحركة لى هذا البيت ؟ »

- « إنه حدث ثالثة ، نكته أول شيء يتم أمام شهود
على قدر علمي .. »

قلت في برود :

- « لا أشتي بالشهود .. أنا لا أعرف وأعرف هذا جيد .. »

قلت في عصبية وأنا أبسك بالمعقد الذي كان يتحرك
كأنما أخشى أن يكون مربوطًا بخيط ما :

- « هذا ليس فن لأشباح .. إنها طاقة (سايكوكينيزيس) .. »

أنت تحركين هذه الأشياء عن بعد دون أن تتركى هذا .. »

- « ليت هذا صحيح .. »

نظرت إلى الكلب الموجود قد أقعى على الأرض وهو
يصدر نباحًا من ذلك لظرف الخفيض الرقيق الذي يلتصق
الأنف .. فقلت (رائية) :

- « كنت تتكلم عن الكلب الذي لا ينتفض الشعر حول

عقه ولا يزوم بشكل مغز .. »

كنت تغضظني .. لذا ضغطت على أصابعي وقلت :

- « هذا لا يعنى أنه رأى شيئًا .. أى كلب في العالم يرى

معقدًا يتحرك من تلقاء نفسه لا بد أن يزوم ويهتاج .. »

ثم جئت جوارها وقلت :

- « (رائية) .. أنا لا أعنى كلب لم أر أنباء غريبة .. أحسب

أنى رأيت من شيء مغز أو مريب في العالم ونحن هذه نعمة

أو نقمة ، لكننى في حالتك هذه لا أشعر أن ما رأيته كاف ..

ما زلت أضع الوسواس في المرتبة الأولى .. »

- « والمعقدة التى تتحرك ؟ هل هي وسواس .. »

أصابعى القبط .. بالفعل هي محقة .. قلت وأنا أنظر إلى
المعقد :

- « إن ساضع لتحريكه عن بعد فى المرتبة الأولى .. »

ثم أضع الوسواس في المرتبة الثانية .. أما الأشباح ساضعها

في آخر القائمة .. »

نظرت لى بعينها الساحرتين وسألتنى :

- « هل رأيت بهوتًا مسكونة من قبل ؟ »

- « رأيت الكثير منها .. وزرت مسكن النفس (بورلى)

Borley Rectory فى إنجلترا .. تلك البيت الذى يقولون إنه

لشر البهوت سكنى بالأشباح فى العالم وفى التاريخ .. عامة

تكون القصة متكررة .. خطوات فى الليل .. ضحكات

أسواب تغلق وتفتح .. كلام يفسد فى قرعدهك .. نقات

٣٠ - ما وراء الطبيعة عدد (٦٧) استورة بيت الأشباح

من الجدران .. في النهاية يتضح أن هناك جثة مدفونة في جدار ما .. يقال إن الروح تظل قائمة إلى أن يؤخذ بشراها أو تدفن الجثة بشكل لائق بعدها تهدأ الأمور ..

« ولماذا لا نفترض أن هذه الليلا مسكولة ؟ »

صحت وقد صعد قدم إلى رأسي :

« لأن تشاهد الوحيد هو أنت .. ولت مراقبة حمقاء امتلأ رأسك بالخيالات .. لو رأى لوك شيئاً كهذا لصار الأمر مطروغاً منه »

« أنت رأيت المقعد معي .. »

« ربما أنا عجوز مخرف .. كارثة الكوارث أن يجتمع شيخ مخرف واهن الحواس ومراقبة خيالية ويتكلما عن مقعد يتحرك .. »

ثم نظرت في ساعتى وكنت لها إلتى راحل .. للتقري لها السلام ..

« إلى أين ؟ »

تذكرت بيت شعر (حافظ إبراهيم) الشهير :

نقلت عليك ملوئى .. إلى أواها وأهية

فأبشر إلتى ذاعب .. متوجّه في دعية

لذى كتبه لعه لقلسى وهو يهرب من بيته في مراقبته ..

بليغ جداً يا شاعر الليل .. هذا البيت يصف حالى بدقة بلغة .. لكنى قلت لها :

« كما هي العادة .. سوف لأحس الفهوة في كافيتريا ما .. ثم أعود لدارى .. وعلى الأرجح لن أمر عليك لعدة أسابيع ، لكن عذرى بأن توافظى على علاج .. (محمد إبراهيم) .. »

« لى تتأكد من ذلك .. »

هنا ظهرت الأم .. المرأة الريفية الباسنة التى شغلت الطريق وراء زوجها حتى بلغ هذه المكتبة .. رحلة العمر أضافت لها بداية توشك أن تسبب لها نوعاً من الإعاقة فهي تعشى بصعوبة وتجلس بصعوبة وتلهث ضلة الوقت محمرة الوجه .. هذه هي مثلزمة (بيكويك) التى يعرفها أطباء الأمراض الصدرية ولتى تنسب إلى بطل قصة (ديكلز) الشهيرة (أرولق بيكويك) .. لكنك لن تخبر امرأة أنها تشبه مسنر (بيكويك) طبعاً حتى لو لم تكن قد سمعت عنه ..

سألتني وهي تحمل صحيفة عليها كوابه مياه غلزية :

« خيرًا يا دكتور ؟ هيبه ؟ كيف حال (رونس) ؟ »

(رونس) ؟ لا أعقد أن هذا اسم لكاتب .. إذن هو اسم

تكليف القلم ..

أفرغت الكواب في جولي ثم قنت وأنا أنصرف :

« بخير .. بخير .. ما دامت لا ترى المقاعد البلاستيكية

تتحرك فهي بخير .. »

== ٤ ==

في ذلك العالم كان (سليمان الخولي) قد بلغ نهاية

مغزونه من الصبر والتحمل ..

تراه الآن يجلس في تلك الكافتيريا ينظر بعين زائغة

لا ترى شيئًا إلى العلم من حوله .. يمر به اللنادل يسأله

هنا إذا كان يرغب في شرب شيء آخر ، فيهرز رأسه ويقول

كلمات لا معنى لها يستنتج منها اللنادل أنه يعلى (قهوة) ..

ما دام هناك هذه ووار فلا بد أن يقصد القهوة لأن الهواء

لا يقدم في الكافتيريا ..

أظنية جميلة يجيبها تنسرب في الجوز ، لكنه لا يعنى حرفًا

ولا يلهم أنها هي ..

(سليمان) يرمى الشارع في ذهول غير لزجاج ..

الناس يمشون حاملين وجوههم ذاهبين هنا وهناك .. كل

منهم لديه فرصة ما فتمدًا لم يبق له شيء ؟

وينظر إلى الملتصدة .. حيث تسلك لليلة المربوطة

بلمبة فوق الشرف .. ينظر حوله لم يمت يده ويطلب

عليها .. لا بد أنها تعمل راحتها .. لا بد أنها ما زالت

سليخة ..

ينظر عبر الزجاج وقد بدأ الليل بجل غيري منظرًا مركبًا من أنظمة بالخارج وأضواء الدخول .. ذلك المزيج العجيب من التلذذ والمرأة معًا .. يرى وجهه لتحليل تهضيم وشذبه لرفيع وعويذته وشعره العلى المنكوش الذى كان يذكر من يراه بالعلى (على مصطفى مشرفة)
(مشرفة) الذى اعترف (لينثان) نفسه بأنه واحد من الخمسة الذين فهموا نظرية النسبية فعلاً ..

مزج غريب فى زجاج قنطرة سلويت وجهه على صورة شارع .. يذكر الآن أنهم كانوا يقومون بتمزج فى أفلام السينما القديمة بواسطة هذه الطريقة البسيطة توفيراً لتلفات المختبر .. وجهه ينطبع على الحياة .. على الآخرين ..

(ربما) كانت هنا وقد رحلت ..

هذه المرة لم تكن على استعداد لسماع أصدار عن الشقة التى يوشك على الظفر بها .. عن وظيفة الجامعة التى سينفذ بها .. عن .. وعن ..

كانت صارمة صليبة قاسية جداً .. فقد أخبرته أخته يوماً ما عن أساليب القنات فى التخلص من خطيب لم يعد بهمين .. الرسالة البليغة التى تتمثل فى ديلة معلقة كالقند فى العنق لحظة اللقاء .. يراها فيعرف أنه ثم يعد هناك ..

جلست (ربما) لتقول إنها جاءت فقط كي تترك له الديلة .. تتركها عن عطفها وتضعها على المتضدة .. أنت لا تكف عن بذل الوعود .. لا تكف عن النجاح فى الخيال .. الآن أعرف أين أنا ولين أنت وأعرف أثنى لن أستم .. وتبسم فى نسوة ..

ما أسعدهن حين يجلسن فى مقاعد الحكام يرتضن هذا ويلبن هذا .. هذا خجول نوعاً .. هذا يحترم أمه أكثر من اللازم .. هذا ينظر أحياناً إلى اليسار .. قرأت فى مجلة (حواء) أن هذا دليل على ضعف الشخصية .. هذا يفرك ألفه كثيراً مما يعلى أنه كذوب .. ارفضى .. ارفضى .. ارفضى .. ما أسعدك يا ملكة الملكات ..

يسألها عما تشعر به ..

- « شكراً .. منذ عرفتك وأنا لشرب ا »

ثم تضحك فى مرارة وتنهض ..

- « بعد إذنك ا »

ثم تتجه نحو باب الكافيتريا الدور رشيقه كغزال .. غزال لزج الديلة عن إصبعه ..

وتجلس أنت تحلق في كواب القومون الفارغ ، وتشعر
بأنك ضعيف جداً .. كالسكران لن تستطيع العودة إلى
دارك .. لا بد من أن يوصلك أحد ..

إنها تمر أمام زجاج الواجهة مبتعدة وصورتك تنعكس عليها ..
ما لا تعرفه هو أنك أحببتها فعلاً .. أنك استمعتت أمل
كل لحظة قائمة منها هي ..

وما لا تعرفه هو أنك فشلت في الالتحاق بالجامعة برغم
تفوقك .. وظيفة المعيد الوحيدة حصل عليها ابن الدكتور
(فلان) .. وما لا تعرفه هو أنك علقت حياتك كلها على
لحظة دخول الجامعة لتكون أسدلاً في الفيزياء ..

ما لا تعرفه هو أنك لم تتخيل يوماً أن تكون مدرس
فيزياء في مدرسة ثانوية .. قد يبدو هذا رائعاً للبعض لكنه
كنت تحلم على نطاق واسع ، ولا ترى صورة لـ (لينشتاين)
لو (ميريس) أو (رافرفورد) إلا وشعرت بأنهم يشبهونك
وأنت قادم من ذات العالم ..

ما لا تعرفه هو أنك فقير مملس وأنت لا تعرف كيف
سيكون الغد .. هنا وحيداً في المدينة الفلسفية المظلمة
بالأشباح وأنت في القرية تنتظر نجاحك ...

زوايا مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة

لن تعود من دون نجاح .. لن تعود ..

القهوة توضع أمامك فترشها منها رشفة .. سادة بلا سكر
لأنك لا تملك القوة كي تتدلى لفنل وتلومه .. لا قوة .. لا ثقة
بالنفس ..

ربما كان السكر ليس من حقاك .. فقط التناجحين يضعون
السكر في قهوتهم ..

وأنت كنت ناجحاً يوماً ما ..

كنت لأني طالب في الصف ، وكان المدرسون يشبهون
بمجرد أن تفتح لك .. هل تذكر كيف حسبت شحنة الإلكترون
قبل أن تقرأ الدرس ؟ هل تذكر كيف خرج المدرس من المختبر
فلمت بتحضير الهيدروجين معتمداً على معلوماتك العامة
بستعمل الخارصين والحمض ؟ وعندما لم يصدق أصحابك أن
هذا هو الهيدروجين طلبت من (طاهر أبو زينة) أن يشعل
عود ثقاب ويقربه من فتحة أنبوب الاختبار ؟ الهيدروجين
يشعل بالنجار .. وهكذا .. يوم !!!!

حتى عندما عوقبت وبينما الدم ينزف من جروح وجهك
فإن الجميع يذكرك أنك عبقرى ولن تك شيئاً عظيماً ..

ماذا حدث ؟؟

لماذا تولفت معار حياتك فجأة ثم راح يلقهقر ؟

لكن ما لا يعرفونه هو أنك اتخذت قرارك منذ زمن .. وأنت تحمل في جيبك الحل لكنت كنت بالظفر لحظة العنابية .. عندما تدرت إلا أمر هلاك ..

الآن هناك مخرج سرى من هذا العالم القلبي ، وهذا المخرج يشبه قلاع القرون الوسطى التي كانت تزود ببياب سرى كى يلزم منه الحكم إذا توترت الأمور ولشد الحصار ..

تعد يدك فى جيبك وتنتظر حوك ..

عذبة دواء السكر التي لم تعد تتخلى عنها وتحملها معك فى كل مكان .. تفرغ الأقراص فى قبضتك ثم تغذف بها إلى لمك وتبتلع كوب ماء ..

هكذا .. لا شيء .. لا ألم ..

هذه مودة تختلف كثيراً عن الحب المرعب لى قنبل أو من فوق الدرج .. تختلف عن المحتبين الذين يشعلون النار فى أنفسهم والمخاض الذين يقطعون شرايين أيديهم ..

غيبوبة سريعة ثم ينتهى كل شيء .. ربما يبدأ الأمر بدوار وعرق وربما تشنجات لكنها سوف تنتهى حالاً ..

فقط يجب أن تتنزل الآن سريعاً وإلا حاولوا إقلاك ..

هكذا تنهض مسرعاً وتوجه إلى دورة المياه .. فيما بعد سوف يحدثونك .. سوف يحطمون الباب لكن القصة ستكون منتهية بالنسبة لك ..

توجه إلى الحمام .. تدخل إلى واحد نظيف تفوح منه رائحة حمض كبريتيك .. تجلس بكمال ذيك على المقعد وتسد رأسك إلى قبضتك وتحاول أن تنام بالنظر لحظة الهدوء .. أن يصل لعقار إلى دمك ..

لحظة .. لحظة .. لحظة ..

فجأة تسمع صوت ضربة .. باب يفتح .. ثم تلاجأ بمن يلتحم الحمام تذى تجلس فيه .. هناك من ركل الباب بقوة لولاحه ..

يد تمسك بك وتجرك جراً إلى الخارج ..

تسمع ذلك الصوت يقول :

« هلم ! افرغ معدتك حالاً ! »

كوب ملىء بالماء المالح يصب فى فمك صبا ثم تذهب لممرس إصبعه فى حلقك لتفرغ معدتك .. تفرغها فوق الحوض .. مذلق الفلج والحوض .. أنت تكره هذا .. تكرهه .. تحاول المقاومة لكنهم كثيرون ..

٤٤ أسطورة بيت الأنبياء

« هلموا ! هل جاء الإسماعيل ؟ »

ثم :

« هلموا ! أين الفتى الذى ذهب إلى الصيدلية ؟ »

ثم هناك من ينقى بك على الأرض .. إبرة تفرس فى
أرواك .. زجاجة بلاستيكية مغلقة يتم إفراغ ما بها إلى
عروقك وأنت ما زلت على أرض الحمام تنتظر للسقف
وتحاول فهم ما يحدث ..

« لقد أعطيت زجاجتى كمستروز على التركيز ، لكن
مستوى تسكر فى دمه سيهبط ثانية .. يجب أن يدلى
الإسماعيل حالاً .. »

ثم تشعر أنك وضعت على محفة ..

تسمع ذلك الصوت يقول :

« كان يجلس بغربى ورأته يبتلع تلك الأقراص جرعة
واحدة .. عندما نهض إلى الحمام وجدت هذه العلبة فارغة
وملأة على المنضدة .. هذا علاج لا يمكن تجاوز قرصين
أو ثلاثة منه .. دعك من أنه كان ينصرف بطريقة غير
طبيعية ملذ جس .. »

٤٥ روايات مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة

ثم نسمع من يتكلم فى وقار قتلًا :

« من حسن حظك أنك كنت هنا ياكتور .. قلت لى

ما اسمك ؟ »

الصوت الذى سمعته حتى أصيبت بالعلل يقول :

« اسمى (رفعت) .. (رفعت إسماعيل) .. »

هكذا عرفت (سليمان نخوني) ، وهكذا تكونت تلك الصداقة الغريبة بيننا ..

صداقة بين شاب حديث التخرج يشبه (علي مصطفى مشرفة) وعجوز عصبى .. صداقة بين منفتح وتطبيب الذي لقاه .. لقد كنت في ذلك اليوم أجلس إلى منضدة مجاورة أرمق ذلك المشهد الذي أدركت على الفور أنه لنهاية قصة حب . ظلمت أرمق الفتى تجالس وحده على سبيل تشفقه والفضول .. إلى أن رأيته يتخذ هذا القرار الدرامى المخيف ، وقد نهض لينخل الحمام ففكرت على الفور ما فعله .. كنت أعرف أنه لا (يبلف) كما تفعل القنصات الهستيريات عندما يتلعن ثلاثة لأرواح من الأسبيرين ويمعلن الدنيا صراخا .. أولاً لأن أحداً لم يره وهو يقوم بما قام به ، وثانياً لأن من يحمل هذه التماسيح لا يمزح ..

تجا الفتى ، والفضل لله أولاً ثم لعبد الله الذي كان جنساً برأى الموقف .. يقول الأطباء النفسيون إن الانتحار هو نوع من الجنون المؤقت ، وقد أدهشني أن يحل جنون مؤقت بهذا الفتى شديد الذكاء ..

أعدت لي زورره في المستشفى عندما كان فيها ، ثم نقلنا في مقهى جوار بيته عدة مرات ، وأجريت له نوعاً من غسل المخ .. قلت له إن الشباب هبة في حد ذاتها .. لديه لقد كله ليتزوج ملكة جمال العالم ويقوز بجائزة نوبل ويطلق جيل (برمت) .. ربما يصير رئيس (كوستاريكا) أو سفيراً إلى (عطره) .. كل شيء ممكن بهلما لم يعد شيء ممكناً لمن في مثل سنى ، حيث صار المستقبل ذاته ماضياً .. لمحيشك لك أى بنى هي carpe diem كما يقولون باللاتينية ..

ينظر لي في عدم فهم فأقول :

- « أى : اقتنص مباحج اللحظة .. لا تفكر في الغد »

الحقيقة أنه كان عاثر لحظ فعلاً وقد تلقى صلعات في قل مدان تقريباً .. لكن إصلاح كل شيء ما زال ممكناً .. لو انتهر كل شاب خسر فرصة العمل في الجامعة ، وتخلت عنه خطيبته ، وحاصره الفقر ، لما بقى في العالم أحد ..

سأته بعد خروجه من المستشفى عن نوعية دراسته فقال :

- « الفيزياء .. إلى اهتمام خاص بالكهرباء .. »

- « تدرس الجول والإرج والفولت وهذه الأمور ؟ »

نظر لي كأنما يخشى أن أكون مزخاً ثم التجر في الضحك وقال :

- « نعم .. لكنني مهتم بلمور أعقد من هذا .. كلني أملاك عما إذا كنت تدرس العضلات والجهاز الدوري في كلية الطب ؟ »

- « وأين تعمل ؟ »

تهد طويلاً ثم قال :

- « في الوقت الحالي أعمل في دارى ويشكل مستقل .. إن في أبحاثي الخاصة منذ دخلت الكلية .. لكنني كنت أفتنى أن أجد إمكانيات جامعة تحت يدي .. أن أسافر للدراسة بالخارج على نفقة الدولة .. »

قلت في ذهنة :

- « أي أنك تمارس البحث العلمي (من مثزلهم) »

- « هو كذلك .. »

ثم مال نحوى وضيق صوته في خطورة وقال :

- « هل تسمع عن عالم ما وراء الطبيعة ؟ »

نظرت له للحظة ثم قلت في جدية :

- « لا .. لا أعرف أي شيء عن هذه الأمور .. »

لمحك كثيراً من جهني المطلق وقال :

- « لا يمكن أن تتصور أبعد هذا العالم العلمي بالأسئلة .. إنه عالم مدهل مشير .. ألم تسمع عن الفترات الخارقة والأشباح وكل هذه الأمور ؟ »

هزأت رأسي في إصرار وقتت :

- « لا أعرف شيئاً عن هذا صنقي .. لسمع عنه وأراه في السينما لكنني لم أجربه وأعتقد أنه مشير للزع ١ »

- « لا تعرف شيئاً ؟ »

- « لينة .. »

قال وهو مستمتع بجهني :

- « كنت تجاربي تدور حول دراسة هذه القواهر بشكل لمزياني .. أحاول أن أضع قوانين محددة لهذه الأشياء .. لم أصل لنشيء لكنني كنت أؤمن أن أطور أساليب أكثر .. »

- « وهل تعتقد أن هناك جامعة تقبل أن تمارس فيها هذه التجارب ؟ هذا كلام لا رأس له ولا ذيل ولا يمكن أن تقبل به جهة علمية محترمة .. »

- « أعتقد أنهم قد يرحبون به في الخارج .. أما هنا فلا .. »

ثم هتف في مجلس :

- « لو زرت بيتي لعرضت عليك بعض الأمور المثيرة .. »

استخدام الكهرباء في دراسة علم الماوريات ؟ هذا هو الجنون بعينه .. شبه العلم الذي أركنونا وعذبونا به .. على طريقة (سرعة الصوت هي ثلث كيلومتر في الثانية .. وهذا مثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن القبلان وجدت في القاهرة منذ ٣٠٠ عام) .. هذا يعطى المستمع ثقة بالكلام ورغم أنه لا علاقة بين المقدمات والنتائج .. فقط يفترض لا شعورياً أنه كلام محترم مادام يقول (سرعة الصوت) وما إلى ذلك .. تكلم عن الكهرباء وفرق الجهد والتردد ثم تكلم عن (أبو رجل مسلوخة) وسوف يبتلع غير المنطقين الطاعة .. وسوف تكتب أكثر من جريدة أن العلم الحديث أثبت وجود (أبو رجل مسلوخة) ..

على كل حال يذكرني هذا بجو أبحاث (جوزيف باتسن رابن) و (إيجور تاركوفسكي) .. لكن (رابن) هو الاسم الذي حاول جاهداً أن يفتح احتراماً لهذه العنوم ونجح إلى حد كبير ..

هكذا اتصلت من زيارة الفتى .. لا أريد أن أشغل عقلى بهذا الهراء .. لو كان بارعاً فيوقفه الله ولو كان نصائفاً لهذه مشكلته ..

لم أجد أقبليته بذات الإفراط لكنني احتفظت به قريباً .. أولاً هو ذكي فعلاً .. ثانياً هو شديد الحساسية صادق .. ثالثاً .. من يدري ؟ ربما أحساج إليه يوماً ما

والحقيقة أنني كنت صادقاً في حديثي ..

لقد كان ذلك اليوم قريباً جداً ..

كان هناك ذلك الفتى بأبحاثه الغامضة وكتابه .. وكانت منك (رابطة) برؤاه المخيفة واضطربها .. خضبان ملوحيان ما كنت أعتقد أنهما يلتقيان أبداً .. هذا ما تعظمناه في الرياضيات .. لكن يبدو أن الرياضيات عجم يتطور باستمرار ..

لقد التقى الخطلن بالفعل وكان هذا قرارى أنا .. لكننا ستعرف المزيد فيما بعد .. ليس الآن ..

- ٦ -

في هذا الوقت تقريبًا حدث ما حدث لـ (رائية) ..

لا بد أنه كان مساء السبت .. كانت الأسرة تجلس فنام جهل التليفزيون وهي في غرفتها تعد الدروس للغد .. لقد عاد (مختار) من الخارج منذ ساعة لمشي ابن من تلك الأسيرات الهائلة المعدودة التي تبدأ ميكراً، ومشي يمارس فيها (مختار) لجو الأمر .. بينما اعتكوا أن يعود للمبيت في ساعة متأخرة جداً ليكمل كالمسرح التهور ويتشاجر كالمخترت ثم ينام كالمسخرة ..

سمع الأبوان صرخة علية من غرفتها مع صوت قسيء يرتطم بالأرض ..

هرع الجميع إلى تطبيق القسبي من الليلا .. (مختار) يشب الدرجات بينما الأم تحاول أن تنقل كل هذه المشحوم لأعلى .. والنظير راح يشعر في مؤخرة الركب لأنه كان خائفاً بطبيعة الحال ..

اتجه (مختار) للغرفة فوجد (رائية) ملقاة على الأرض لفقد الوعي .. جولاها على المكتب حقبة مفتوحة وطمس الأرض تشارت كتب الكيمياء والاستشفاة والفرنسية .. قصة موجزة جداً .. كانت تعد الحقيقية للمدرسة لذا عندما حدث هذا ..

بينما كطلقت الأم الكثير من لصرخات و(بنسى) و... و... كان (مختار) عالياً جداً .. توجه إلى الهاتف ليطلب أول أخصي متاح ..

« (رفعت) .. تعال حالاً .. »

« من هناك كارثة ما ؟ إني لم أتناول عشاءي بعد .. »

« قلت لك تعال حالاً .. »

« هل من تلميح ما ؟ »

« (رونى) فافدة الوعي .. »

« (رونى) ومن هي (رونى) ؟ »

« (رائية) يا أخصي .. (رائية) البنتى ! »

« مالها ؟ »

فوضع السماعة لأن أصابعه لم تتحمل أكثر .. ثم كملت أمانه لانتزع رأسه بأسنقه ..

يجب أن أعترف منذ البداية أنني لم أكن متحمساً .. أن يجرؤني من باري لحالة فقدان وعي لا بد أنها ستنتهي خلال ثوان .. الجسم البشري قد أعده الله ليعالج نفسه ، والسقوط أرضاً هو الطريقة المثلى لعودة الدم إلى الدماغ ،

أما الناس العبقرة فيحاولون جاهدين منع هذا إذ يجلسون لذلك الوعى وربما يرشونه على الوقوف كذلك .. ذلك من أن الفتاة من الطراز الواهن (النوراستثنى Neurasthenic) إياه .. فى الغرب يطلقون عليهن اسم pretzel ladies أو ما يشبه فوننا (البنت الهسكويته) .. فلو لم تكن تفقد لزوجي ثلاث مرات يومها لكنت مجنونا .. تفقد الوعى عندما تجوع .. تفقده عندما ينجح الكلب .. تفقده عندما تفعل .. تفقده عندما لا تجد شيئا آخر تفعله ..

دعك من (مقترمة الجيب السباتى) حيث يفقد الناس وصيهم لأى شيء يتعلق بالعقل .. غلق لؤزر البلية .. حلقة الشئ .. أى شيء .. هؤلاء ليسوا مرضى لكنهم - فقط - أكثر حساسية من الآخرين .. لكنى لم أستطع التمنص .. هكذا لحقت بهم ...

لكنى عندما وصلت للفيلادلفيا وقصص لى (مختار) الباب رأيت وجهه فلما .. أدركت أن الأمر مطلق فعلا .. المفترض أن تكون فى اللات وتجلس الآن تشرح لهم كيف لم تشعر بشيء لحظات ..

كانوا قد حملوها إلى الفراش ووضعت لهم الكثير من الأغذية فوقها باعتبار كل داء فى لعنم سيبه فهد كما تعلمون ..

لحصدت الفتاة لوجدت تبهتها على ما يرام وتلفسها منتظما وأطرافها دققة .. هى ليست فى صدمة لأن .. الحقائق استجيبان للضوء ولا تعارض عيناها تلك العادة البذلة التى تعلمها عيون القمى عندما تتلوى لهما كل وضع الرأس وكل على كثرة كيدة .. فقط كان جبينها ملورا من جر المسقة ..

حاولت أن أوقفها عن طريق تنبيه بعض أفراد العصابة لكن لا استجابة .. رفعت يدها فوق وجهها ثم تركتها تسقط فهوت إلى جوارها لا على وجهها ..

أدت بعينى فى الغرفة لحرايت المكتوب حيث كانت تعد هليتها .. كانت هناك امرأة كبيرة مغطاة فوقه .. هناك امرأة أخرى على خزائن الثياب .. ترى .. هل ... رفعت رأسى وأخفت شهيقا عبقيا ونظرت إلى الأبوين اللطيفين وقلت :

« الأمر ليس بهذه البساطة .. لابد من مستشفى ... »

صاح فى عصبية :

« لم ؟ اطلب أى شيء وستقوم به هنا .. »

« لا تكن طفلا .. لابد من قياس سكر الدم وولف لكلى .. لابد من بعض فحوص الأشعة .. لابد من رأى مختص بالأمرراض العصبية .. لست (سوبرمان) يا صاحبي .. »

بعد يومين كانوا غارقين في التفكير في حلول .. وفكر
أحدهم في صدمة كهربية لمخ القناة الأخرى الذي لم يرق لى
شيئاً .. اعتك أنه كان يتكلم من منطلق الغيظ لا منطق
الحكمة الطبية ..

فقط أئذ الفتاة أن مر أحد الأسيذة الكبار شلتبي الشعر
الذين راح (مختار) يعطرها بهم وقصصها .. ثم قال
له (مختار) في كؤدة :

« سوف نفيق من هذه الغيبوبة عاجلاً أم آجلاً .. فقط
عليك أن تصبر ولا تعذبها محاولاً جعلها نفيق .. إن
مريض الهستيريا يضغط على أعصاب من حوله فعلاً
وبعضهم يتلقى ضرباً مبرحاً .. يجب أن تتأكدوا من تغذيتها
وجعلها تنقلب في الفراش .. أرى أن بقاءها هنا سيكون
مشكلة عليكم ذلك من التلقات الباهظة ، لهذا أقترح أن
تأخذها للبيت وتجد لها معرصة تقوم بهذا كله .. »

كانت (عواطف) ممرضة لا بأس بكفافتها .. إنها زحلة
في العقد الرابع من العمر نشطة وقد تكادعت منذ فترة لكنها
لمت أن تقوم بهذه المهمة لقاء راتب ، ومن أجلها فقط ...
هكذا وجدنا أنفسنا في موقف سيئ لكنه مستقر ..
(راقية) في الفراش وذلك الأكيوب يخرج من أفها حيث

ثم أضفت وأنا ألتخصن حذقيها :

« تبدو سيئة تعالاً .. لكن أؤكد لك أن هذه ليست حالة
إضاء عادية »

هز كتفيه ثم اتجه إلى الهاتف ..

في ساعة مبكرة من صباح اليوم للتالي كنا قد فعلنا كل
شيء ممكن .. كن رأى أكثر من طبيب أن هذه (غيبوبة
هستيرية) لا يوجد لها أي سبب عضوي ..
القناة سليمة وجهازها العصبي يعمل كالفضل ما يكون ..
هي نائمة لكن أحياناً لا يستطيع جعلها تصحو .. اختبار رفع
اليد المميز للغيبوبة الهستيرية واضح تماماً .. مريض
الهستيريا لا يجب أن يؤذى نفسه .. كما أن رسم المخ
لكنه لم يظهر شيئاً ذا بيل ..

قلت في غيظ :

« إن هي في غيبوبة .. نشمة ولا تصحو معاه غيبوبة .. »

فعلوا ويقولون في صبر :

« ونحن لم نقل غير هذا .. لكنها غيبوبة هستيرية »

تحلق فيه (عواصف) هائلين والعصفور كل ساعتين ، وأخوها لم يعد يقيم في الغرفة التي تلوح منها راحة سودرة (التلك)
 الممزوجة برائحة الكولونيا .. الخليط الضروري لمنع قروح الفراش .. تلك الرائحة التي لا نسمعها إلا وشعرت بالفتور ..
 لو أن للغيوبة رائحة فتلك رائحتها ..

جوار الفراش هناك جهاز كاسيت لا يكف عن إذاعة
 شرائط قرآن للشيخ (لطباوى) و (عبد الباسط) ، وقد
 تكلفت (عواطف) بتبديل الشريط كلما انتهى بشريط
 آخر .. والحق يقال إنها فكرة طيبة لأننى كنت قد بدأت
 أشعر بجو مشوم كليل فى هذه الليلة .. اعتقد أنه ذلك
 الشعور الذى لا أعرف كنهه والذى يشعش بوجود
 (شىء ما) ..

الأم تفضى جوارها أكثر الأوقات .. تهس لها بصوت خافت
 تلك القصص التي تحبها .. تبحث فى شعرها ، أو تفتح عليها
 وتصفه بشفتيها لعدة ساعات .. هذا خطأ فلاح بفنسية لمرضى
 الهستيريا لأنه يجعله يتكلم حتى وإن لم يدرك هذا .. الخفاة تجد
 نفسها قد تحولت من (الزلزلة) إلى (حبيبة ملما) وهذا مغر
 جداً .. نصحت الأم بأن خير علاج للخفاة - و لمرضى الهستيريا
 عامة - هو التجادل التام .. لكنها لم تكن مستعدة لسماع
 أية نصيحة منى باعتبارى صورة أخرى لغريبان البين ..

كان أبوها فى حال سيئة ، لكنى كنت لى حال أسوأ ..
 ثم أبتلع قط فكرة أن هذه الزهرة البتاعة تحولت إلى نبات
 رائد فى فراش .. لو كان هناك مرض واضح .. لو كان
 هناك التهاب مخ أو نزف أو فشل فى عضو مهم لفلت ..
 هذه قواعد اللعبة وعينا أن نلعب بها .. لكن جسد الفتاة
 سليم تماماً وجهازها العصبى ممتاز .. هذا يشير النفيظ

كما قلت - (عزت) فى تلك الليلة وأنا أجلس معه فى
 شقة التى هى مزيج من مرسم ومكتب قديمة :

- « تخيل أن رجلى مشرطة قبضا عليك واحتجرك فى
 زنزاة .. يقولان لك إنك لم تفعل شيئاً .. لا مخالقات على
 سيارتك وصحيفة سراك ثصعة أبيض .. التقارير الأمنية
 منك ممتازة .. لكننا برغم هذا سوف تحتجرك .. سوف
 تصرخ .. تهز الفضل .. تتشاجر .. تضرب رأسك فى الجدار ..
 لا جدوى .. سوف تمنى حياتك فى الزنزاة ولن يزورك
 أو محام ولن تحكم .. هذا هو وضع تلك البتاسة .. »

قال (عزت) وهو يعجن قطعة من الصلصال لا أعرف
 الاسم ترمز :

- « لكن ذلك الأستاذ الكبير يقول إن الزنزاة ستلتج
 يوماً ما .. »

- ٧ -

قل (مختار) وهو يحك رأسه :

« أنت جئت تمامًا .. هذا لا شك فيه .. »

« قل لي أى شيء ليس مجنوناً فيما نمر به »

« سوف تقع وتهشم عفتك .. ويعدها سيكون على أن تسر

كل شيء لرجل الشرطة .. »

« أنت محام فلن تكون هناك مشاكك »

كنت ألق جوار الدرج في دار ممسكاً بشمعة وفي اليد

الأخرى تلك المرأة المستهدفة التي تقول لي (ما من أحد

كامل) .. كل من صنعها اختار العبارة خصوصاً لي ..

كنت خطتي هي أن أكرر تجربة (ماري الدموية) كما

فعلتها (راتية) مرة أخرى وبالحرف الواحد .. فقط على

(مختار) أن يتكلم للكان ويختلي .. لريد أن أفسر تجربة

وحدي .. لريد أن اعرف .. إذا كان شيء سيظهر لي فعلاً لا ..

قل (مختار) في سخرية مكتومة :

« لفناء ترى في المرأة وجه عريسها القادم ، فهل تبحث

كذلك عنه ؟ هل أنت قلق بصدد قارس أحلامك ؟ »

أسطورة بيت الأشباح

« متى ؟ هذه هي المشكلة .. لو أتلفت بعد ثلاثين عامًا

فهل أتى الفضل لها أن تموت الآن .. شهابها يمضي وهي

لا تعرف ذلك .. »

« أي شهاب يمضي ؟ كنت إن لها أسبوعين .. أيام في

هذه الغيبوبة لا أكثر .. »

« لكنهما مرا كدھر على أبوابها .. ولا ألومهما على

ذلك .. »

قل (عزت) في حذر وهو يلقي بقطعة الصلصال في

القمامة :

« لا لريد أن أفتح شهيتك .. لكن قصة غريبة .. تبدو لي

أقرب إلى تلك الأمور التي تهتم بها .. ألم تحاول قط الربط

بين ما يحدث وبين تلك الرؤى التي كنت تشكو منها ؟ »

فكرت في الأمر للمرة الأولى على ضوء جديد وبدأت

شيء من الصواب فيما قاله ..

كنت مبتلغة سخرية :

« لو كان هناك شيء يظهر في المرأة فها أريد أن أراه ..
سمعه عيسى فقام أو الجانب المظلم من نفسه أو الجان
الأرق .. فقط أريد أن أرى .. »

هكذا لقد ما كنت .. أنظف الأكل كلها وتركس لقف عند
لسان الدرج ثم صعد إلى الطابق الثاني مع أمرته مستهدفا
يكشف يدوي صغير .. وقال قبل أن يغيب عن عيني من
أفوق (اخترازين) :

« عندما تموت أحرص على أن يبدو الأمر كحدث
واضح أمام رجال المختبر الجنائي .. لا أريد أن اتهم بقتلي
دلعك من أفوق الدرج .. »

« سلحرض على هذا .. هل ترغب في أن أكتب لك
(ملاحظة) ؟ »

« ليس إلى هذا الحد .. سلام .. »

والخيرا تواروا ووجدت أنني أقف في الظلام

آه يا (يانج Jung) .. أيتها العبقري !

ما أتى ما كنته عن اللاشعور الجمعي ومخاوف الماضي
المتركة فيها ! هاتذا تشيخ قمعن ذو الخبرة .. الذي رأى
لشياء بلوق عددها تحصر .. هاتذا ألق في الظلام شاعرا
بلوق عاصف .. كل مخاوف الظلمة التي عرفها الإنسان
تعتد في فسي هذه اللحظة برغم أن لدى كل ما يدفعني
للظن بأن (زانية) واحدة .. هناك ظلال خشن طبقة الحكمة
لستطيع في عقلي فبرزت مخاوف الماضي القديمة في
عقلي الباطن ..

لعله ضوء شمعة .. هذا الضوء اللعين المترقق ..
إله يلقي ألف ظن وألف احتمال ..

وفي المرأة أرى وجهي وقد كسفته تلك الظلال القديمة
من أسفل مما منحه سمعا شيطانيا .. أقدم حيلة عرفها
مديرو الإضواء في أقلام الرعب حتى لم يعد هناك شربير في
الأقلام القديمة إلا وله إضاءته الخاصة القديمة من أسفل ..

الآن أراجع ببطء وعيني لا تفارق المرأة ..

أراجع .. أراجع ..

أصعد أول درجة .. ثم لثانية ..

أشعر بمزيج فريد من السفوف والجنون والرعب ..

أصعد درجة ثم أخرى .. درجة ثم أخرى ..

بحذر شديد أرمق المرأة .. وأختلص لحظة للقدمي ..

لقد صنعت نحو عشر درجات .. لا شيء في المرأة

إلا نصف وجهي .. لا أحد ورائي إلا القمام ..

نظرة أخرى للقدمي .. ثم ...

ما هذا !

من الذي يلف خلفي ؟

الآن أراه بوضوح .. لم تكن القعدة هسيبية ولا مخبولة بل لعل

هو وجه متأكل يكسوه العطن وينظر لى عبر امرأة كشه يلف

وراء قلبي .. يشعل ما لشعر له مكوف .. ويرغم الظلال وضوء

الشعرة متراصص خلفك فجوة لا شك فيها في موضع العين ..

وقلت في موضعي وقلبي يخلق .. يشب .. ينتفض ..

تلوت المعوذتين بسرعة وأخذت نفساً صعباً ..

ويصوت مبحوح مثلثة :

« من كنت ؟ »

تحركت شفتاد المهترئتان وراح يردد بصوت خفيض

مبحوح كنمات لم ألقها .. ثم بدأت أدرك ما يقول :

« فتش في بيت الأنساج .. وسوف تهديك الأرقام .. »

« فتش في بيت الأنساج .. سوف تهديك الأرقام .. »

وفجأة تراجعت للخلف أكثر وقد خرج مركز قلبي عن

قاعدة جسدي .. كنت في وضع جرح من القلبية الفيزيكية ،

لذا لم تجد قدمي ما تستند إليه ..

سقطت ثلاث درجات .. ثم توقفتم لخم لتحذر إلى أسفل

أكثر لحسن حظي ، لكنني أطلقت صرخة .. ثم أدركت أن كاحلي

قد التوى .. وإلا ما تفسير كل هذا الألم الذي اجتاحه ؟

ألم حارق آخر في يدي فادركت أن القعدة قد سقطت

والها الآن تحاول أن تجد حياة جديدة على الدرجات

الخشبية .. هكذا أظفاتها في نهضة بنفخة جعلتني أسفل ...

بالله من موقف !

لما عاجز عن الحركة بينما ذلك الشيء أعلى الدرجات

وعلى الأرجح يهبط نحوي الآن ..

ظلام دامس أولي .. ظلام بكر ..

إنسى

٥ - ما وراء الطبيعة عدد (٦٧) أسطورة بيت الأنساج ٢

= ٨ =

كانت ليلة سوداء بالتمسبة - (مختار) لكنه اضطر ان يعمتي بسيلته إلى المستشفى حيث قاموا بلف رباط ضاغط حول كاحلي .. الحمد لله أنهم تم باستخداموا الجبس .. تخيل شخصاً يصعبني يرغم عني وضع ثلعة لي هذا السجن ..

في اليوم التالي كنت قد انتعت عكراً فصار منظرى رائعاً .. لم يبق إلا أن ترك لحياتي بلا حلقة ثلاثة أيام ، وأهمز كيما فمالياً به بعض الخبز ونمرك التماطم وأتسول ..

لكن هذا لم يفت من عضدي عندما جئت إلى (مختار) عصرًا وقت له :

- « قصة واضحة .. هناك شيء في هذه القلعة .. إن أقول لفظة الشباح .. فقط ما زلت أرغب في معرفة تاريخها كلاً .. »

عبث في شرايه كعادته عندما يحاول السيفورة على مشكلة ما .. إنه يظهر للمشكلة مدى خزمه ورجولته من ثم تخجل وترحل .. وقال في ضيق وهو يقيم لي كوباً من الشاي :

- « لا أصرف أي شيء سوى ما عرفته .. ملك القلعة السابق هو (كامل تهرأوي) من أحيان ما قبل الثورة .. كل الناس تعرف أنه كان يعيش على مخدراته .. نموذج

لم فكرت أن شيء لم يكن قتيلاً .. ولا فمن لمن يجد كشافاً كهربياً ؟ كان القدام هو (مختار) وقد سمع صرختي والوضوء ..

وعلى ضوء الكشاف وجدني على الدرجات أمامك بكاحلي وأئن ..

صاح في طيف :

- « يا لك من أحمق .. توقعت هذا ! كان لهم لدينا ما يكفي من مصائب ! »

قلت وأنا لضغط على أعصابي :

- « هناك شيء لعن في هذا البيت .. لقد تأكدت من هذا .. كما تأكدت من أن خلاص ابنتك يتوقف عليه .. هناك أشباح هنا وسوف نجدها !! »

قلت ملوكاً :

« معلومت غير كافية .. غير كافية على الإطلاق .. »

« لو كنت أعرف أنك ستهتم بالموضوع نطبت ناريفاً
موتناً في عدة مجلدات .. »

قلت له وأنا أرفف الشاي :

« سوف نقوم بتفتيش المكان جيداً .. لا بد أن هناك
علية .. لا بد أن هناك قهراً .. لتوقع أنه ترك شيئاً ما يدل
عليه .. لقد قال هذا المسخ الذي رأيته : ففش في بيت
الأشباح .. سوف تهديك الأرقام .. هذا يعني شيلين : أولاً
هذا بيت أشباح فعلاً .. ثانياً هناك أرقام وهذه الأرقام سوف
تقودنا إلى شيء مهم .. »

« كما تحب .. لكن لا تضعني في مشكل أخرى معك .. »

ثم فكرت بعض الوقت وقت :

« هل لديك فكرة عن هذه الأرقام التي يتكلم عنها هسيء ؟ »

هل رأسيه أن لا .. هو على كل حال لا يصدق أنني سمعت
شيئاً على الإطلاق .. فترضعت كوب الشاي وقُنت وأنا
أنهض متوكناً على الكرسي :

الرجل العجوز المتوحد الذي لم يكن أحد يزوره .. عنده
حمام سباحة ولم يره أحد جليماً مله فضلاً عن تسبحة فيه ..
فقط يعيش في القلعة مع طاه عجوز وهناك امرأة تأتي من
حين لآخر كي تقوم بالتنظيف وتبتاع الأشياء من السوق ..
لنرى العجوز لا يفعل شيئاً إلا أن يجول على قدميه مترجلاً
مساعداً في اليوم .. كعادة باقي الطاهي ذات صباح من
زيارة أهله ليجد أن (كامل) لا يصحو من النوم .. لقد مات
أثناء نومه لكن أحداً لا يدهش عندما يصوت رجل في
الثلثين لو أردت رأيي .. هكذا انتهت قصة الرجل وقد قام
نحوه الطاهي بكل شيء .. أنت تعرف هذه العلاقة الحميمة
بين الخدم ومخدومه عندما يعيشان معاً أكثر من ثلاثين
عاماً .. لقد صاروا أخوين .. هكذا غاب (البدراني) في
مقابر أسرته وترك الطاهي القلعة ليعود لقرية .. بعد أشهر
يظهر (هاني البدراني) قريب المتوفى قلعاً من كندا ولا هدف
لديه إلا بيع القلعة .. لم يكن يحمل أي نوع من التحسين
للاحتفاظ بدار قريته .. إنه عجول يريد إنهاء الإجراءات بسرعة
وعيد أي سعر .. هكذا قصد مكتب ليالذ رأيي فكثرت صلقة لا
بالس بها .. سر نجحني في الحياة هو أنني أعرف الفرصة عندما
تق بابي بينما أشك لا يفعلون إلا نظرية رومسهم وتكسوي
من عضوضاء .. لماذا لا تبهني القلعة يا أخ (هاني) ؟ سوف
أريحك من الإجراءات وأقنعك لك ثمن فوراً .. هكذا وافق .. »

- « فلتر .. هيا بنا .. »

وقفت أنظر إلى القبو المعبر على ضوء تكثف .. هناك مصباح كهربى تكفه محترق .. أكوام من كتب وتسجيل عكسب وخرق قماش وأجهزة عتيقة لا تعرف إن كانت أجزاء من طوريبد أم آلات كتابة عتيقة .. لا بد أن تنقش فى القبر كى تعرف .. هناك جرافوفون قديم ومرآة مهشمة وصورة عملاقة لها طابع قوآن (السيبيا) على الجدار - (فاطمة رشدى) ممثلة السينما الصماء التى كتوا يسمونها (صديقة تطلبة) لأن صورتها كتبت فى غرفة كل طلبة ..

هناك مقعد متحرك فقد عجلته وأكوام من زجاجات الزيت للارفة .. لسبب ما كان هذا العجوز مولعا بزيت التتموين ..

كتبت هناك صورة عتيقة فى إطار تمثل رجلاً مطربشاً يشبه كثر الرجال فى الماضى عندما كانوا يقولون (سعيدة مبارك) و(طقس فى غنية البداعة) .. يبدو أنه لم يكن للرجال شكل آخر .. الاكسدة بالنفس ولشارب اللامع المعشى به والضربوش وربطة العنق السميكة شبه التفكوك تنشى فوقها يفتا قميص ، وكفه مى (عبده الدمولى) يوشك على

غناء طقطوقة جديدة .. تحت الصورة وضعت وراء الزجاج ورقة تحمل هذه الأبيات بخط ديوانى رائع الجمال :

لغى الحياة وكلنا لى دربها .. ولعب عجا .. والحصى لا تندثر
من قلبا بمنى الألى حادوا ما .. من بعدنا لى ملايين البشر
فسمح حبيب الروح لىكي حولنا .. واسع صدق الأشباح موى لى سفر
للك الروح الحضر .. كتبت لى .. إلا كما السرمان يملك لى سحر
قرأت الأبيات بصوت عال .. ثم قلت لى (مختار) :

- « من كتب هذا الشعر الردى ؟ »

- « كيف نى أن أعرف ؟ ربما كان (الهرلاوى) الكبير
للمسه .. لا بد أن هذه صورته »

ثم غلغم بالأبيات فى عدم فهم وقال :

- « محققا له .. لا أفهم ما يريد قوله .. »

- « ربما لركاة التعبير .. يريد القول أنه سيترك الحياة
لما تركها من سبقوه .. إن مباحج الحياة ليست من حقه
إلا لو كان من حق الريحان أن يطلب بامتلاك السحر .. »

« وما علاقة لريخان بالسحر ؟ »

« كان بحاجة لراء سادقة تختم البيت بعد الفتحة ..
لا بد من سحر أو قنر إن .. »

فيما بعد قرأت سخرية لشاعر العظيم مشيط للسلطان (أحمد
لؤي نجم) من أشعراء المتصلين الذين يكتبون أغنى على
غرار « لاجل العيال .. و لاجل الأمال .. و لاجل أي حاجة
آخرها (آل) .. » !! هذا أتق تعبير عن تلك الأبيات ..

وتركنا لتوحة قتي يرمقنا صاحبها في شك ومقت لا جدال
فيهما

سألت (مختار) ولما أجوب ببطريرتي وسط هذه التفصيل :

« هل غيرت شيئاً في هذا المكان ؟ هل تخلصت من
شيء ؟ »

« لا .. لم أر تغلاً للقبو ووجدت أن تنظيفه سيكلفني
كثيراً ، لذا أغلقته .. قررت أن أنسى أنه موجود .. »

رحت أصبث هنا وهناك وأنا أجد العنكبوت لئلا هذه الفرقة أو
تلك .. لو وجدنا خمس جثث كان مائك البيت يلتهم أجزاء
منها كل خمسين لما دهشت ..

عنكبوت فاخر المنظر يركض مبتعداً بهلماً أنا أمد يدي
للومة لتكتب المصفرة التي تحولت أطرافها لأذان كلاب ..
أول كتاب خرج قس يدي كان له غلاف جلدي سميك ..
لغته وأنا أسأل من الغبار لتفيل الذي ملأ رنتي وقرأت
عنوان الإنجليزي :

Cabala

أي سحر (انكبالا) أو (نقبالا) ليهودي المعتمد
على الأرقام ، والذي ابتكره الحاخامات كطريقة عبادة في
البدلية ثم صار معناه السحر الأسود ولا شيء سواد ..

الكتاب الثاني كان يحمل اسم Malleus Maleficarum
وهو اسم لاتيني مخيف ، لولا أنك تذكر أن معناه (مطرقة
الساخرات) .. الكتاب الرهيب الذي كتبه راهباً النومليكان
(كريمر) و(سبرنجر) ..

الكتاب الثالث كان له عنوان مرعب هو الآخر .. الجزء
الثالث من (شمس المعارف الكبرى) لـ (ابن الهولس) ..
الشهر كتاب للسحر الأسود في تاريخ العربية .. في بعض
لدول يمكن أن نتهم بتكفر لمجرد لفتاء هذا الكتاب ...
كان هذا كافياً ..

الجزء الثاني

مقدمات ونتائج

« هذه الأرض أهلها ورأيها سروراً قبل البناء . فما الشيء الذي وجده العمال تحنها حتى قرروا أن يخفوه مع إبقاء إمكانية الوصول إليه متاحة ؟ إلى أسائل نفسي .. »

استكرت إلى (مختار) الذي وقف لا يفهم معنى هذه تعالوين ولا سر الرعب الهادي على وجهي .. قلت له بليرة أثرت قلقة :

« من جديد تتكرر وتصدى التصيحة الشهيرة : اسأل السعداء لماذا يبيع العقار بهذا السعر المرخيس ؟ »
« ماذا تعني ؟ »

« الأمر واضح .. أنت اشتريت فيلا كان يسكنها رجل غريب الأطوار .. بعيرة ألقى كان يسكنها ساحر ! »

-١-

(من مجموعة خطابات وجدوها في وقت متأخر جداً)

القاهرة في ١٨ نوفمبر ١٩٥٩ :

أخي (رامي) :

أكتب إليك لأن ملامحك لا تطابق مخيلتي ، وقد ذكرني هذا البرد القارس بك في عاصمة السور تجاهد كي تجرى الدماء في عروقك ، فطعك استرجعت يوماً من أيام مصر والعزبة وجولتنا في حقول القطن تحت شمع الششاء العذبة ، ورحلتنا لصيد البط في الفيوم .. لشد ما أحببت هذا البلد ولشد ما أساء معاملتي .. لكنني لن أطيل الكلام على كل حال لأن بعض الخطابات يُفتح ، وخلافتي مع حكومة العسكر كثيرة فلا داعي لأن نزيد الضيق بنة ..

اشتلت منذ بداية الشهر الحالى إلى القبول لتي فرغوا من بنائها ، وهي نسخة من الرسم الذى صممته للمهندسين وأصبها جميلة جداً . طلبت من (سلامة) الطامى الوفي الذى صار رفيق صبرى أن يجد من يحسن زرع الحقيقة ، كما ظنت أن يجد لنا امرأة تعنى بنظافة المكان . إن (سلامة) يعرف وبجيد كل شيء ، وإنني أجد الحياة مستحيلة من دونه . أنا الذى لم أتعامل مع بالغ أو حزمي قط .

جلبت معي إلى القبول الكثير من الأشياء المهمة والتي تكفى لنا الكثير . حتى تصور المعقنة في غرفتي جليتها وحتى لجرامولون القديم وتلك الكتب التي كنت أحتفظ بها لأقرأها لي شيخوختي . كنت أتوق للرأفة (فولتير) و (راسين) .. كنت أتمنى أن أطلع كتاب (الأغاني) .. كنت أتمنى أن أعود لتغتي الإنجليزية التي التهمتها اللغة الفرنسية ، حتى شبطت للفسي أكثر من مرة لأعلم وألكر بالفرنسية !

كنت أطم بأن لترض الكثير من أشعر لأتقنه .. إنني لكتب شعراً يبدو لائق جيداً لكنني لأتوق أشعر جيداً وأحرك أنه سين هزيل . أعرف أن هذه التصرفات أقرب إلى تمهيد لموت ، وأن من تصرف بهذه الطريقة يستعجل نهايته ، لكنني أشتعر النهاية قريبة وأفكر كم كنت الحياة جميلة يوماً ، فلو أعطيت أي شيء لعدت إلى ذلك الزمن القديم حينما كنا نعضى إجازة الششاء في (سان موريتز) والصف في (تيس) ، وحينما كانت الحصان يحطن بين فلا تتبين أين أنا ، حينما كنا ندعى إلى السراى لحفل هنا أو هناك ، أو نذهب لحفل (أم كشوم) حيث رجال الدولة جميعاً موجودون .

تكنز أحمد الله على أنهم تركوا لي مالا يكفي كي أقتضى بقية أيامي في هذه القفلا .. مكان هادئ مريح يصلح كي يتأمل المرء فيه .

سأكتب لك أي (راز) ولا أطلب رذا .. فقط زر مباحث
(باريس) من أجل وتكرها بي .

كامل

القاهرة في ٢٨ نوفمبر ١٩٤٩

أخي (راز) :

اكتشاف مؤثر للغاية وجدته وقد فقد القبر .. كنت تعرف أن
لمكان جديد وقد نكثت له كل حلبيتي إلا بضعة أشياء لم أرد
لتخلص منها ولم أرد كذلك أن أرحم بها حتى الجديدة .. بينما
أنا أضع حلبيتي مع (سلامة) وجدت صندوقاً من ورق امتلأ
بكتيب وهو ما بدا لي غريباً في هذا المكان حديث البناء حديث
لا يوجد شيء على الإطلاق .. فقط بعض أجولة الأسمنت مفترقة
وبعض شللكم الذي لم يثبت مع راحة أسمنت قوية .. كان هذا
المكان يستخدم مخزناً لعمال البناء .. لا أكثر .. حصلت يدي
أحاول رفع الصندوق من موضعه فوجدته ملتصقاً بالأرضية حتى
اضطرت لتزيق قاعه ..

على الأرض لتثرت كتب .. كتب عجيبة قيمة بشدة .. قرأت
ضوايق مثل Secret Doctrine و Catalogue Mirkou Mafkouram ..

هناك كتب مصفرة من التي يبتاعها هواة كتب شرق .. وهناك
خرائط عليها رسوم معقدة تظهر الأبراج أو منازل النجوم .

لا أعرف معنى هذا لكنها بالتأكيد مكتبة شخص مهم بمسحر
أو مشعوذ أو عراف .. لقد نكثت هذه الكتب لأفهمها لمكتبي ،
والتي لعل أطلع لنصوص عربية ، لكنني لم أستطع قراءة
لغة التي كتبت بها الكتب الباقية .. بعضها بالإنجليزية
وهي عندي هزيلة ، وبعضها بلغة أعفد أنها اللاتينية ..

قضيت مع هذه الكتب عدة أيام .. كنت ألتهم قطعاً ثم
أختلي بنفسى في مكتبي وأقرأ .. ومع الوقت صار لدي
بعض تام بأن هذه الكتب تنتمي لساحر أو مشعوذ .. لماذا
تركها هنا ؟ لعله كان يريد أن يدريها : والفلا تلت مكتبا
علماً مشاعراً لفترة طويلة لا يحرسها إلا خبير غف .. يمكن
لأي كان أن يتولى فيها ويخلي ما يريد .

استغنت بقواميس اللغة الإنجليزية وأقرأ ما كتب بهذه
للغة ، أما اللاتينية فكنت أعرفها وتعرف أن تعلمها عسير .
لكنني وجدت هدفاً لحياتي . وقد بددت هذه الكتب ليوم الوحدة
لتي خلقتني .. لا أعرف إن كانت قراءة هذه الكتب عملاً أم
لكني أقرأها لمجرد التسلية وليس لدي نية للتجربة . اعتقد
أن القراءة عن المجرمين لا تجعلك منهم .

هكذا تمضي أيامي بين التهام وجبات وقراءة ونوم ..
لا أخرج إلا ساعة في كل يوم حتى لا تخلق الظلال
والأضواء بصيرتي .

كيف الحال عندك ؟ أرجو أن تكون بخير . سلامي لأهلك
(ماتي) و (فكري) و (سارة) ودعو الله أن يكونوا هم يمسوا
العربية بعد .

كامل

القاهرة في ٢ يناير ١٩٦٠

أخي (رامي) :

كنت أقصص تقبو عندما قررت أن أزرع تلك البقايا المتصلة
بالأرض والتي لمست لمرها .. كنت تعرف أنني لا أستعمل تقبو
أبداً لهذا نسيت أمر هذه الكتب التي وجدتتها هناك منذ شهرين .
لكنني قرأت إلى القبر وحدي وأضأت النور ورحمت تزيح كل
هذا الزكام الذي جنت به .. هنا وجدت بقايا الصندوق الذي
وجدت فيه للكتب .. حاولت أن أنتزعه فلم أستطع وأثر هذا
دهشتي . عندما دفعت النظرة بدأت ألهم أن الصندوق كان
محسوراً في فتحة في أرضية تقبو .. فتحة تبدو كأنها

سألت لتصريف المجاري وأنت تعرف أن العمال يمدون
هذه الفتحات كي لا يسقط فيها شيء .

قضيت بعض الوقت أحاول تنظيف البقايا المحسورة ،
والطورت إلى إحضار بعض الماء لأغيب بقايا الصندوق لورقية
هذه .. لدهشتي وجدت أن الماء تسرب لأسفل . كما كتبوا
يسبون دلاء الماء في السجون لاستكشاف الأهلالي السرية التي
سلعها المسجونين .. هناك تجويف تحت هذا طبلو ، وأعتقد أنه
مخصص لتصريف المجاري أو (لترشحات) على الأرجح .

لكنني واصلت الكشف عن الفتحة .. لقد كانت مكونة من
قضبان حديدية متشابكة تتوسطها فتحة كبيرة نوعاً تسمح
بمطر الصندوق كنوع من لتعويه .

الإضاءة غير كافية لذا سعدت لأحضرك كشافاً وبحثت
من (سلامة) لوساعتي فوجدته نائماً في الحجرة الصغيرة
لمجاورة للمطبخ . فلم أريد أن أزعجه .

كانت القضبان الحديدية تشبه فتحة كهوية لذلك العلم
المسلي ، وخاطر لي أن المنظر يشبه أي شيء في العلم ما
هذا المجازي .. المجازي لا تبدو هكذا ..

مليت يدي لحسن المضيق .. كل شيء كان جديداً خلتياً
من الصدا .. لذا أمكنني بسهولة أن أريح لقطاء ، وعلى ضوء
تكشف رأيت تلك البئر وعلى الجدار سلم معدني للزول .

الموضوع كبير إذن ..

هناك قصة ما غريبة وراء هذه الدرجات

كنت مغامراً جريئاً في شبابي ، وليفتي ما زالت تسمح
لي بالكثير ، لذا قررت أن مغامرة كبرى جاعتي في بيتي
فمن قحط ألا أخوضها . هذه الأرض أعرفها ورأيتها مراراً
قبل البناء .. فما الشيء الذي وجده العمال تحتها حتى
قررنا أن يكفوه مع إبقاء إنكائية الوصول إليه متاحة ؟

بني أسأل نفسي .

- ٢ -

أنت لـ (مختار) ونحن عرقان في الغبار في لعبة وسط
البناء لا تعرف إن كنت فيها لم أعدي لم جثا متحلة لم غباراً
للحظ بلسيح العنكبوت حتى صار أقرب إلى طائر صغير :
« لماذا لا تبعد هذا البيت وينتهي الأمر ؟ »

راح يسعل حتى أوشك على قزاع رلتيه من مكتهما ..
ولمخط في منديله ويصق ثم قال :

« لن نخلى هن ليلا بهذه المواصفات لمجرد لنسى
وجدت كتاب (كتاب) هذا لن قبوها .. »

« كتاباً لا .. »

« هناك من أننى لا أجد أى رابط بين حالة (راقية)
وهذا الذى يحدث .. »

بين الفيل والأكبية تغلضنة كتبت زوجة (مختار) تقش
وتلغض وقد تقيت حاسة ميدة قبيت على أن أقضول عدها .
لمتد هنا جث رجاء (الإسكندر الأكبر) لو مومياء (خلال)
لو حارية إسمان (نيكدرشل) .. لتجد أى شيء .. تمهم لن
هذا المكان يجب أن ينظف .. نشيطك كلبرافيت وشبهين

الكثير من هرمون (الثيروكسين) هاته النسوة ، ولهذا يرتلنا معشر الرجال قطيعاً من الخنازير الكسول ..

قالت وقد سمعت محادثتنا :

« لم يصب (رولى) إلا العين .. إنه الحسد .. هذه القذرا اللعينة جلبت لك الحسد معها .. »

طبعاً أنا أؤمن بالحسد .. لكن هذه العميدة ظليلة تصير على أن العين هي سبب أى شرء يحدث فى العالم ، وكان الحرب العالمية الثانية نشبت لأن هناك من حسد (تشيكوسلوفاكيا) على جمالها ..

ثم أضافت وهى تضرب خفيين وجذبتهم ببعضهما محدثة عاصفة ترابية مرعبة :

« قولوا ما تريدون أما أنا سألتصرف .. إن (فتحية) صديقتى أخبرتنى بشيخ بارع فى هذه الأمور .. »

عندما تتحدث عن شيخ لا تتحدث عن شيخ بالمعنى الذى نلمحه نحن .. بل تتحدث عن النسخة العربية من (طارو الأرواح الشريرة) ...

قلت فى تحفظ :

« لا أرى يا سيدتى .. إن المصابين وسط هؤلاء كثير جداً .. »

« (فتحية) قلت إنه ليس نصيباً وإنما لى (فتحية) .. »
وفجأة توقفت وأخرجت وسط الركام شيئاً يبدو كأنه صورة موضوعة فى إطار .. وقالت فى حيرة :

« ما هذا ؟ »

قلت فى نكاه :

« هذا ؟ يبدو أنها صورة موضوعة فى إطار .. »

لكننا رفعا الصورة فى الضوء فوجدنا أنها خارطة .. تصميم هندسى متكون وظاهر القبلا من منظور (عين الطائر) شبيه .. واضح أنه من عمل مهندس معمارى مع كل هذه الفنقة وتسمية المتاور باسم (سماوى) وما إلى ذلك من الحسنة .. لورق مصفر جداً فلأبد أن من وضع هذه الصورة فى إطار وراء زجاج هو (أبلرولى) نفسه .. كانت هذه أرقام على كل جزء من التصميم .. ١ .. ٢ .. ٣ .. ١٨ .. إلخ .. لا أعرف تخون الرسم الهندسى فربما كان هذا الاستخدام شائعاً .. لكن ما أثار دهشتى هو أن هناك أكثر من رقم فى كل غرفة ..

قلت لـ (مختار) وأنا أقوله هذه اللوحة :

- « سوف يسعد المشتري الجديد عندما يجد أن هذه معك .. من المستحيل في مصر أن تجد الرسوم الهندسية لأية بذية تجاوز عمرها عشرين عاماً .. »
- « لن أبيع !! »

قلتها في عداد وهو يسأل من جديد .. ثم أعلن أنه الكفى من الغبار .. لو أنه استثنى بذرة أنبتت في رنته ، وهو تشبيه مضحك لكنه ليس بعيداً عن الحقيقة تماماً كما يعرف أطباء الأمراض الصدرية ..

هكذا نزلنا مع ما في ذلك من صعوبة بالنسبة لشخص يتحرك بعكز مثلي ..

تغنى الحياة وكنا في دربيها ، ونعب عنها .. وأخطئ لا تندر من قبلنا بجثى الألى جاءوا بنا .. من بعدنا يلقى مديان البشر فاسمع صرير الريح يهكي حولنا .. وسمع صدى الأشباح يعزى في سفل تلك المروج الحضر ما كانت لنا إلا كمسا الزمان يملك السحر

الآن قدم لك تشيخ (أبو ياسين) ..

هذه اللحظة الأولى عرفت أنه لن يخيب ظننى .. لم يكن يلبس أسعلاً كالمجائين ويحمل مبخرة لكنه كان يلبس ثياباً صصرية .. تلك البذلة الصيفية طويلة التكمين التي يكون طولها زينياً دائماً .. فقط رأيت تلك النظرة في عنيه فأدركت أنه كاتب .. فسمعت هذا العطر الثقيل الزيتي فعرفت أنه نصاب ..

راح يتأمل الليل في جثع .. وراحت عينا تسرحان هنا وهناك .. حتى الزوجة البديهة لم يرحمها بنظرته لكربيه .. وأدركت أنه يحاول تقليد ما يمكن أخذه من كل هذا اقتراء ..

ثم جلس جوار فرانس (راقية) وطلب أن يشعلوا بعض البخور .. أقت له في بروء :

- « ليس من مصلحةها أن تزيد مستوى ثباتي أكسيد الكربون في دمها .. »

نظرت لي بعينيه المجنونتين وقال :

- « هل الأخ طيب ؟ »

قلت في كبرياء :

« لا .. لكنى لله في هذه الأمور .. »

قال في مزيج من وقاحة وسكرية :

« إن لو سمحت .. إن عدى ولجأ تجاه هذه قصبة .. »

كان قد ضمن أنى طبيب كما هو واضح ، لكن هذا زاده تعثيا .. لقد فشل الأطباء بعلمهم في عمل شيء .. وضبوتى أنا .. إذن فليتنحوا ويسحوا المجال للعلم الحقيقى ..

وضع يده طويلة الأظفار على قنطرة أنف (رائية) وضغط وتعم بأشياء أنا وأتى من أنها ليست قرأنا .. كان صوت القرآن متبعاً كعادة من كالمسيت جوار القرائن فقلت بلهجة من يريد أن يتعلم :

« أعتقد أن سماع سورة (الغاشية) يفيدنا .. »

هز رأسه فى حكمة وقال :

« نعم .. نعم .. هذا تصرف حكيم »

طبعاً كان كالمسيت ببيع سورة (مريم) .. لا يمكن أن تخلط بين السورتين لو كان لك ذلك أنسى عظم بالقرآن الكريم .. ولا يوجد طفل فى الصف الثالث الابتدائى لا يحفظ سورة (الغاشية) ..

على أنى كنت تنلسى : ليكن .. ربما كان منهنك بالتحفة فلم يلحظ هذا الشوك الصغير .. فلنتنظر قليلاً ..

أخرج متدبنيه المصلاوى لتعلق الذى يصلح خيمة ، ومسح به عرقه .. ما هذا الذى سقط منه ؟

أعاد العنديل لجيبه وراح يتأمل وجه (رائية) وقد بدت على وجهه حكمة القرون .. لا بد أن هذه النظرة لم تظهر إلا على وجه (ابن سينا) وهو يلخص مريضاً بالتيفوس أو (إنريكو فيرمى) وهو بحسب قوة الإفقار النسوى التجريبى فى (لوس الاموس) ..

(مختلر) وزوجته يقفان متوترين خائفين وراعنا بالتظار (كلمة تعلم) ..

بعد خنيفة قال الرجل وهو موثق على اليكاء :

« هذه لبائسة .. لقد اختطفها منك الجان وهو يريدنا زوجة له .. لن يتركها أبداً .. لا حول ولا قوة إلا بالله »

فغجرت الزوجة فى اليكاء ، فقلت فى غيظ :

« ملك لجان هذا مولع بكل لغات المصدايات بتهستيريا ..

لوقه غريب جداً »

لم يبقَ بي وصاح بصوت جهوى :

- « أمرك يا (قطعاع) أن تترك هذه الصبية .. هي ليست لك .. ماذا تقول ؟ تشتم ؟ حسن .. أمرك بمسطرة سيدنا (سليمان) عليه السلام أن ترحل .. ارحل ! .. ارحل ! »

دُفِقَ من الصراخ المجنون الذى جعلنا نشب مترين فى الهواء ، ثم بدا عليه الإبهام والطرق معنذا رأسه إلى راحته .. وبعد دُفِقَ لآخرى هتف :

- « فليخرج الجميع .. (القطعاع) لن يتكلم إلا عندما أكون وحدى .. »

قل (مختار) وهو يفقد زوجته نحو الباب :

- « هم يا (رفعت) .. دعه يتفرد بـ (القطعاع) .. »

صعد التم إلى رأسى .. آخر شيء يمكن أن أفعله هو أن أترك هذا الولد بلا رقابة فى غرفة يمكن أن يسرق أى شيء فيها ، ومع إنتهى قلادة الوعى .. نعم .. (راقية) بمثابة البنتى .. يدعشن المبالغ الذى يمكن أن تبلغه حمالة الحمار ..

قلت فى برود :

- « يمكنه أن يكلم (القطعاع) فى وجودنا .. لا اعتقد أن منك التجان خجول لهذا الحد .. »

نظر لى الرجل تلك النظرة الكارمة وقال :

- « هل الأخ عالم غيبات ؟ »

- « لا .. »

- « إن مالك يعلنا ؟ هذه أمور قد تؤذيك يا حبيبى ..

من يتعامل مع أمور لا يفهم عنها شيئا يلقى أسوأ مصير ..

مصير .. مصير .. ير .. ير .. »

وداح بهز رأسه يمتة ويسرة وينفخ شدقيه على طريقة (إسماعيل يس) ، إلا أنه حين توقف كنت أتمس تحت لفه الشيء الذى سقط منه على الأرض ..

نظر لى أغبر نظرة لى العالم فاستكرت إلى (مختار) ودستت الشيء فى يده .

- « هذا الشيء المعروف بالميتوفان ولذى يضعه العالم

العظيم فى جيبه هو (فص اللبون) ! »

كان الرجل منهولا لكنه تعود ألا ينادى .. لذا قال لى

برود :

- « هل الأخ ضابط مخدرات ؟ »

- « لا .. »

« بن من عينك لتفتش في جيوب الناس ونواياهم
وضمائرهم ؟ »

ومد يده في لفافة ليأخذ هذا الشيء الذي يمسك به
(مختار) ، لكنني صحت فيه :

« الآن اعتقد أنك ستسمع لي بشيء الذي كنت أتوق
له .. قد أسوت بعد دقيقة لكنني سأعود راضياً بأصغاري
حققت حلم حياتي ! »

وأمسكت بالرجل من كم سترته ودفعته دفعة أو جذبته
جذباً - لا أدرى بالضبط - نحو الباب وأنا أتوكأ على عكزي
كوليد من فرصة التفكير .. كان قوياً لكن شغلته جعلته
واهنأ هنا .. قلت له ولما تشير للمعرضة كي تختص منه :

« عندما تمارس هذا السخف مع أبوين ملتاعين على
التهتهم ، فأنت تستحق أن تكون حطب جهنم !! »

عندما عدت إلى اللوحة كنت تنظر لي في دعر باعتباري
لقد كنت إحداهن خارقاً .. ثم يجسر أحد على طرد قشيع (أبو
ياسين) من قبل فضلاً عن لعمري .. باستثناء ثم يذهب طبعاً ..
وقد أبت رايها في أن (الأخوين) لم يكن لقيوتاً بل هو على
الأرجح مادة مهمة لطرد الجان .. ذلك من أنها تؤمن ببقينا
أننى انتهيت وسوف أعود إلى غبار كونى خلال ثوان ..

« عندها لتكون قد استرحت من القباء والأضياء ..
سيكون هذا رائعاً .. »

« تكن ضحية .. »

« دعت من (ضحية) .. لو كنت ترغب في أن تتزوج
هو أو (القمعاق) للنفعل .. »

عند (مختار) ذراعيه على صدره وقل مفكراً :

« لكننا لم نصل شيء .. هذا الرجل على الأقل كان
يملحاً بعض الأمر .. »

هذه هي المشكلة فعلاً وقد عر عنها بدقة تامة .. الأمر
الخلاص للزلف أم اليأس الحقيقي لصديق ؟

لما أعرف جيداً ما لا يصلح له (رائية) لكن لا فكرة
عندي عما يصلح لها ..

لا بد من حل ما في مكان ما ..

- ٢ -

(من مجموعة خطابات وجدوها في وقت متأخر جداً)

القاهرة في ٢ يناير ١٩٦٠

أخي (رامي) :

بدأت أهبط تلك الدرجات .. ومع كل درجة كنت أتردد أكثر لأن الظلام صار دامساً لولا الكشف الذي لطبق عليه في فسي .. كان له مذاق مثير للثغيان حتى تمنيت لو أن عندي خوذة تضيء كالتي يلبسها عمال المناجم ..

لكن الأمر لم يطل لهذا لقف في قاع الميزر .. لمأسي معمر طويل مظلم .. إذن أنا في مكان ما مجهول تحت الفيلا التي أعيش فيها ، وهو مكان لا يمت بضعة ثلثي مجارى أو الصرف الصحي .. تلقى سري ربما لا يعرف أمره سوى .. هناك فتحة جانبية تقود لهذا الميزر لكنها ضيقة ولا أعرف إلا تكود ..

كان هذا غريباً .. لكنني تعلمت وقررت أن أجوب هذا التلق حتى تهلكه .. أنت تعرف تلك القصور الغامضة التي تعيش الشعبين في قبوها ، لهذا لم أكن متفلاً كثيراً بالشئ في هذا التلق .. لكنني مشيت .. بقعة ضوء تتحرك للأمام والظلام يفتح أمامها ويتفق من خلفها .

أعتقد أنني مشيت نحو عشر دقائق حتى بدأت أفكر في العودة ، لكنني وجدت أن المكان يتسع أكثر وأكثر ..

نظرت للسقف فوجدت جذور نباتات تمتد من أعلى السقف .. أنا تحت الأرض بالمعنى الحرفي للكلمة .. ربما لنا أسفل مجموعة أشجار وإن كنت عاجزاً عن تحديد مكانها لأن هذا يحتاج إلى بوصلة وخارطة ..

في وجهي وجدت بوابة من قضبان تساعد على إضاءة صورة الجيب على المكان ، فبدأت يدي وأرجلها .. هذه المرة التفتحت بصبر وصعوبة بالعين ..

وقلت في ذلك المكان المتسع نظر حولي ..

لا ألهج أين أنا .. أقرب شيء للمكان هو كهف ضخم لكن سقفه لم يكن مليئاً بالهوابط ، بل كان عبارة عن جذور نباتات مثلثة غنيظة ..

ثم سمعت صوتهم ..

بالأحرى شعرت ببرد شديد ينبعث منهم ..

بالأحرى رأيتهم ..

ومنذ هذه اللحظة عرفت أن حياتي لن تنظر أبداً كما كانت وأنتى لن أعود نفسي .

كقوا هناك .. لا يمكنك أن تعرف عددهم أبداً لأنهم ياربون ويكثرون وينقصون في اللحظة ذاتها .. كيف يبدو ؟ هذا سؤال صير .. في لحظة هم بشر مثلنا وفي لحظة هم شياطين وفي لحظة هم ألسنة من لهب ..

وقلت حيث أنا أرتجف عجزاً عن الكلام لو أترجع لو قوت شيء .. سقط الكشاف من يدي فالتصقت به أجدار وروح أريد آيات قرآنية وقد أدركت أنني وقعت في الشرك ..

(« بشرى بيننا »)

سمعت هذه العبارة لكنها لم تكو ولم يلقها أحد .. أعتقد أنها فكرة غرست نفسها في عقلي .. وفي هذه اللحظة فهمت أنهم مضطربون في حد ذاتهم ، ولون ضولهم أخضر ..

شعرت بهم يتلون حوئي .. وسمعت من يفكر قائلًا :

(« إنه حليف »)

حليف ؟ كيف يكون ذلك ؟

وشعرت بشك الأطراف الباردة التي لا تعرف إن كانت موجودة أم لا تقودني معها ..

كان هناك عرش كبير من نار .. نار مشبهة بتطالير منها الشرر لكنها اتخذت شكل مقعد شامخ .. نعم مقعد .. فوقه

بجلس كائن أضخم من كل هذه الكائنات .. ومن جنيذ لا شكل له .. لكن له ملامح آدمية تتغير من ثانية لأخرى ..

فكرة تكوى من أحدهم :

(« بشرى بيننا يا (أفسيس) »)

لمعت عيني لرهين تتجهان نحوي ، ثم سمعت أفكاره :

(« إنه حليف .. مدعو »)

هل تعتقد أنني أهدى به (راسم) ؟ لا ألوك كثيراً .. لقد تكلمت في المن والحق إلى أحدهم هذا الكلام لأنهم مهتمون بالشكر ، لكنني أمل أن تصدقني .. لم ألق حوئي بعد وقد رأيت وسمعت وشمعت ، لأن كانت الأرواح بهذه الدقة والقوة فما هي الحقيقة إن ؟ ماذا يبرهن على أننا موجودون وأحياء ؟

قال لي (أفسيس) أو بالأحرى فكر :

(« أنت في مملكتنا .. لا تجهد عقلك بمعرفة كنهنا .. ربما يدعونا بعضكم شياطين وربما يعتبروننا تجسيدات وربما نحن شيء لا اسم له .. فقط فاعلم أنك في مملكتنا وقد قبلناك بهلنا لأننا بحاجة إلى أرضى يكون عوناً لنا .. »)

فتحت لمسى لاكنم فطائر الشرر منه صديقا ما يشبه
إصيفا مطرا وقال :

(« حذار ! لا أحد يجادل في كلمات (أفسيس) .. إنها
هي القاتون ! »)

صاح أحدهم :

(« كلمات (أفسيس) هي القاتون »)

سكتم لك القصيدة في خطابي التالي يا (راسز) لأن
أصابعي ترتجف ورأسي يتأرجح ..

كامل

القاهرة في ١٠ يناير ١٩٦٠

أخي (راسز) :

صاح أحدهم :

(« نحن بحاجة إلى أطفال رضع ! فليجلب لنا الأطفال ! »)

وصاح آخر :

(« ونحن بحاجة إلى دم عذري .. فليجلب لنا الدماء ! »)

كنت في حلة لا توصف من الرعب .. وأعتقد أنني فطنت
وعبي بضع ثون لكى لفقت ولقا على الأرض .. ومنددت يدي
لفصطمت بشيء صلب .. كفت هذه عظمة زبد متحلة .. مندت
يدي أبعد لفصطمت بجمجمة آدمية مفروسة في قهبار ..

كفت هناك بقايا قعاش معزقة وقطع من عظام يد ..
رلمت عيني لأعلى ونظرت إلى أسقف .. الآن أنهم .. فما لي
أمر ! هؤلاء يقوم يعيشون في قهر تحت الأرض .. هذا بيتهم ..
نهضت لأرى ذلك المدهو (أفسيس) ينظر نى في ثبات ..
له عين حمراء تتضخم وتصفى من حين لآخر ..

قال لي :

(« من المفيد أن تكون حليفا .. سوف نعلمك أشياء لا
عصر لها ، وسوف نملك قوة لم تحلم بها ، لكن عليك أن
تذكر العهد .. لن نلفظ حرفا ضا لمطشوق مسوك .. إن
انقلنا بعدد عدة أجهال ، وسوف تلحق لعنتنا بأحقاء أهلنا
بهدوك ما دمت لا نملك لنا »)

ولجأة شعرت بمخبط يغرس في لحم ساعدي وبدأ الدم
يسيل على الأرض .. ولوقى القهبار رليت الدم يرسم كلمات ..
كلمات بلغة لا أعرفها لكنى فهمت أن هذا هو العهد ...

— ٤ —

(من مجموعة خطابات وجدوها في وقت متأخر جداً)

القاهرة في ٢٠ يناير ١٩٦٠ :

أخي (رامي) :

تعلمت حينئذ مع تلك الكائنات وصار يومي رهيباً بحق ..
أضى الوقت في دري في قراءة تلك الكتب المغلفة في غرفة
مكتبي ، فإذا جاء موعد الأسبوعي انتظرت حتى يسلم
(سلاحة) ثم نزلت إلى القبو لأبدأ تلك الرحلة تحت الأرض ..

من أين جاءوا ؟ من الذي وضع هذه الفتحة التي سدها
كتب السحر في القبو ؟ هذه أسئلة لا تنفي إجابة عنها لأنهم
لا يجيبون عندما يسألون .. لكني قررت أن أعالج اثنين شديداً
التي لا يعرفون شيئاً عن هذا التلحق على الأرجح من صنع
الفتحة واحد من هذه الكائنات .. والأكثر رجحاً أنه بشري
جعله خلافاً لهم كما حدث معي .. بنى الفتحة ووضع عليها
تلك الحطام ذا الخضبان ، ثم سدها بتلك الكتب ليخفي أمرها ..

كنت أفكر فيها يا (رامي) .. أفكر في (هاني) و (فكري)
و (سارة) وأفكر في أختي (جمعة) و (رويدا) .. كنت

ولجأة بدأت تلك الأطياف ترقص وتتواش من حولي ..
وخيل لي أنني أسمع دقات ضبول لا تتوقف .. إليهم يحتفلون
بي كما فهمت ..

(« سوف تعود لدارك الأرضية ، لكننا ننتظرك مساء
السبت .. وسوف نطلب منك أشياء ونمنحك أشياء
لمنتش .. »)

وشعرت بأن الدائرة تلتصق من حولي ، ثم وجدت
تكشاف في يدي فعدت مترنخاً أمام هذا المكان الرهيب ..
إلى التلحق ثم التلحق ثم التلحق ..

وعندما وجدت أنني في قبو دارى تعددت على الأرض
ورحت أفسح .. أفسح من التوتر والانفعال والرعب وفرحة
لتجاة ..

ثم فارت الوعى

في باريس وهي في لندن .. لم أحب أحداً في حياتي كما أحببتكم
و قد كنت أرثف خوفاً عليكم .. آخر ما أتمناه أن تهبط كثرة
عليكم وأتمنى لا تعرفون الذئب الذي اقترعتموه ..

(* إن تقامنا بمئة لعدة أجيال ، وسوف نتحقق لغتنا
بأفلاك أحمق؛ جدوك ما دمت لا تمك لنا *)

هذا ما قالوه .. من قال إن الرجل الذي لم يتزوج ولم
ينجب حر ؟ كنت أصعب هذا وأخالني الرجل الوحيد الحر
في هذا العالم .. تكفى نسيت الحقيقة .. أتمنى موجودون
وتقيدوننى بشدة .. الآن وقد رأيت ما رأيته أعرف يقيناً
أنهم قدرون على أن يؤثروا صبيهاً في باريس أو مبيبة في
لندن .. الأمر يتجاوز حدود المادة والمسافات ..

ليس بوسعى إلا أن أقبل وأقذف ما يطلبون منى فلا فائدة ..

من غريب لئنى صرت قادراً على قراءة اللاهنية وفهمها ..
لم أدرى حرفاً من تلك اللغة لكننى فجأة صرت أفهمها ،
وهو تغيير طراً على من تتعامل مع تلك الكلمات ..

ما كان يحدث في تلك المقبرة الرهيبة تحت أقدام الأحياء
لمر لا أستطيع وصفه أو الكلام عنه ..

حفلات صاخبة لا تنتهى .. وظلوس شديدة التعقيد .. أعند
أن هذه الظلوس كانت وقود هذه لكلمات وطولها الحلقى ..

ولم تكن لديهم قوى مادية واضحة .. أى شيء غير فكرتين على
اجتلاب شيء من العالم الخارجى إلا بمعونة خادم ..

مثلى ... !

طبعاً لم يكن سننى ولا قدرتى مما يسمح لى بأن ألعب
نور خادم د. (فرانتشستين) الأحمب أو (ليوريلو) خادم
(دون خوان) الذى .. لكنهم كانوا يطلبون طلبات معقولة
أو ممكنة .. وقد توصلت لحيلة معثرة تعطىنى حرية الحركة ..

لقد بدأت أفس بعض العنوم لـ (سلامة) ..

كان يأكل طعامه بعد ما ألزغ أنا ، لذا رحت أقسلل إلى
المطبخ لأسكب أقرصاً منومة في بقايا الطعام التى أعرف
أنه سيأكلها بمجرد أن يخلى المائدة .. هكذا يظن كقطعة حجر ،
من ثم أدخل غرفته وأتلقى بعضاً من ثوبه .. الجلباب والشار
الذى يلف على شرايس .. ثم أغادر الفيللا للقيام بتحصل على
ما يريدون ..

والسبب هو أن الجميع يعرفنى ويعرف متى أغادر الفيللا
لتريض .. من شأن خروجى المتكرر أن يثير أسئلة للقضولين ،
بعضاً لم يكن أحد يهائى بخروج (سلامة) لو عودته ..

كنت أشتري لهم أشياء غريبة .. يطلبون أشياء معينة
لا تجدها إلا عند العطش لو فى المجزر .. وكنت أنزل لهم بما

حملت فألف ذاهلاً أرمقهم وهم يلتفون حول ما حملت ثم يتكلمونه .. بينما (أفسيس) زعيمهم يصيح بصوته الفكري الغريب :

(تذكر عهد الدم أيها الأرضى !)

إن الأفكار بضاعتهم وحببتهم فلا لحسبهم بحاجة إلا كلمت لأكد بها أنى لم ولن أتكم ..

سأتركك الآن وسوف أحكى بقية القصة فى خطاب آخر.

كائن

القاهرة فى ١٠ يونيو ١٩٦٥

الحى (وامن) !

لم أكتب لك منذ زمن .. لكذلك لا تكتب لى على الإطلاق حتى صبرت أنسا عن إن كانت هذه الخطابات تصلك أصلاً أو نهائى بها ..

مياه كثيرة جرت تحت الجسور فى هذه الأعوام (كما يقول القريون) . هناك اصترفت لأجدل من مجرد التفكير فيها .. لقد قمت لهذه الكائنات بخدمات عديدة ليس ألقها تعبئة عشرات

لزوجات بلادم من (المخلقة) .. جعلت (سلامة) يجمع لى كل زجاجة يدها وألقته لى غريب الأطوار ممن يجمعون لشيء غريبة ..

لحق أن ملاهى وطباعى تبدلت فعلاً .. لم أعد أنا .. أعترف أن تلك النظرة الغريبة السوداء صارت لا تفرق وجهى .. (سلامة) تقم لى قصر ولا يلاحظ لشيء كهذه ..

ذات يوم طلب منى (أفسيس) امرأة شابة .. كنت أتوقع طلياً كهذا .. لا توجد طقوس شيطانية من دون دم امرأة شابة .. إن طقوس (المقداس الأسود Black mass) صارت شيئاً أعرفه جيداً .. لكن كيف أحاول على هذا الأمر ؟ يبدو أن شيخ خلع (لركنشتين) الأخطب يطارئنى بغف ..

قضيت أسبوعاً فى كوليس لا تتقطع .. لكن مازق وجدت فيه لى نفسى .. فكرت مراراً فى الانتحار لكن العبارة المخيفة ظلت تطاردنى :

(إن اتقنا بما نمد لعدة أجيال ، وسوف تحقق نعتنا بأجلد أحفاد جنودك ما نمت لا نمتك أبنا) (لاحقة (سلامة) لى صرت لكثير قلقاً وحاول بإخلاصه لمعهود أن يعرف السبب ، لكنى لم أتكم طبعاً ، وفى النهاية فرجى بأننى أطلب منه أن يأخذ إجازة ويوزر قريته ..

ظلمت وحدى فى البيت أفكر .. لقد جاء يوم السبت وعلى أن أنزل لأقول لهنؤلاء : - « لم أحضر معى ما أردتم .. فلتعظوا ما تريدون »

كنت جالسا فى مكتبى فلهم ذلك اليوم ، عندما نلق ليلاب ..
- « هل تسمح لى بتنظيف المكتب يا (كامل) بك ؟ »

كان هذا صوت (محسن) .. لمرأة الريفية التى تتحلف لبيت هنا وتبتذع بعض الأشياء من تسوق .. هى ليست شابة تماما .. لكنها تصلح بالتاكيد ..

وقفت على باب الحجرة وتركتها ترتب الأوراق على مكتبى ، ومائلتها من دون أن أفكر إلى الخلف :

- « هل أنت متزوجة يا (محسن) ؟ »

- « توفى منذ أعوام .. »

- « وأولادك ؟ »

- « لم أنجب .. »

لم أقابل معها تحوار قط .. لهذا شعرت بهشة لكنى واصلت الأسئلة :

- « أين تعيشين ؟ »

عزبة قريبة هى .. وكلمات المرأة قد قررت أن ترمى لنفسها فراحت تحكى لى كيف أن أحدا لا يشعر بوجودها ولا أحد يبغى أن كلفت قد راحت أو جاءت .. كنت أزداد سرورا وهى تحكى لى هذا كله .. أعتقد أنها بدأت تشعر بهشة ما ، وتعل تلك الخواطر عن الأتراء الممسين غريبى الأطوار الذين يتزوجون خداماتهم قد داعبت مخيلتها ..

قلت لها دون أن أفكر للخلف :

- « هناك مهمة صعبة لكنى سوف أدفع لك جيذا .. فقط

تعلى لأريك ما أريد .. »

- « على عيلى .. »

وهكذا ذهبت إلى القبو ففتحت تلك الفتحة فى القاع على ضوء مشاف .. رأيته تنظر لى فى حيرة ورعب فقلت :

- « هذا امر سرى لا يعرفه إلا من ألق فيه .. لى غرفة

سرية هنا لكنى أريد فى أن تنظيها لى .. لاحظنى ألقى لا قطع

أحدا على سر كهذا .. »

ونزلت على الدرجات دون أن أقدر لأعلى حتى لا تكون لى نظراتى .. ما إن نزلت حتى رأيته تنزل لاحقة بى ..

- « المكان مخيف يا بك .. »

« لهذا هو سرى .. »

ومشيت معها في العمر لتطويل .. كنت أرتجف خوفاً
والفعل .. كنت أكره نفسي بحلف تكفى لم أر بديلاً أكره .. وصفاً
إلى ألباب ذي القضيان الذي يسد نهاية العمر فقتضه وظببت
منها أن تسكن .. نظرت لي نظرة أخيرة هي مزيج من الخوف
والترقب .. لكنها قدرت كفى رجل موثوق به بعدك من أنها أقوى
وأعلى مني .. يمكنها أن تحطم عظمي بكفها لو أرادت ..

اجتزأت السكك وفي اللحظة التالية سمعت صوت الجنزير .
الجنزير الذي ابتعته لأخفى به هذه البوابة .. لم يستكن
بالقضيان كأنها سجين في قفو وصاحت :

« افتح يا (كامل) بك .. »

نكني كنت أجد السير مبتعداً عندي من حيث أتيت ..

« افتح !! يا (كامل) بك ! »

على ضوء الكشف لصل للنهاية لتلق فطاع هبتر وتسلق ..

« افتح يا (كامل) بك .. أودد .. »

الآن اعتكدها رقبهم .. لابد أنها اعتقدت أنها تهلون ..
سوف تحتاج لوقت أطول من اللازم كي تسكوع منظر

(المسمين) الرهيب .. سوف تستغرق وقتاً أطول من اللازم
كي تترك أنها سجيئة وحدها تحت الأرض مع هذه الكائنات ..
لقد أتممت مهمتي .. فقط يجب أن أعود وأبضع لراضاً
مهلة لأعسى هذا كله ..

لقد كنت بمهمة عسيرة . مهمة فئرة .. وفي تاريخ حتى
سوف يظل هذا التاريخ مهماً باعتباره علامة أساسية في
طريق الانحدار لأسفل الذي بدأه منذ وقعت ذلك العهد ..

أسمع صراخها .. هذه المرة كانت صرخات استغثة ..
لم تكن تدعيني ..

لا بد أنهم يحملونها إلى التفتيح الحجري الذي يتوسط
السكن ..

رحت أتملق مسرعاً ..

فلما صرت في القفو فعلت الشيء الذي صر عاده
مزمنة عندي ..

سقطت فاذك الوعى

لم أكن موجودة عندما اندلعت صرخات (عواصف) المعرصة التي تضيء (الرؤية) في غيوبتها ..

عندما سمع الأبوان هذا كان أول ما خطر لهما شيء واحد .. الأم شعرت بالهم في صدرها واختلت ضربات قلبها ، فخلعت قواها وحالت تنهال على مقعدها ، والابن وقف في حيرة بلهاء عاجزا عن الكلام .. بينما راح (مختل) يبرهن عن لياقته بل راح يثب فوق الدرجات صاعدا .. بعد ثلثية كان على باب غرفة النوم وهو يتوقع الأسوأ ..

ما رآه لم يكن ما خلف أن يراه ، لكنه كن شيئا بعا يكفى ..

لقد كانت الملازمة مكونة في ركن الحجرة بينما كن أبواب خزائن قشباب مفتوحة وقد فرغ ما فيها .. نحن فوض رأيا في حياته وقد وقف لحظة يستوعب الأمر ..

ركض إلى الفدراش وتحسس ضيق لبنته وتأكد من أن تنفسها منظم كأنها لتاعة ، ثم نظر إلى (عواطف) التي اتصلت بالحائط وهي لا تكف عن الصراخ والنعاء ..

« هل جللت ؟ لماذا أفرغت كل هذه القشباب ؟ »

صاحت كأنها صغارة إنذار بريطانية في الحرب العالمية الثانية :

« لم الفعل شديد ؟ »

« هن تعزحين ؟ من أخرج كل هذا ؟ »

صاحت وهي تتكلم في ركن :

« هذه هي المشكلة ! أنا لم الفعل هذا ! فجأة الفتحت

لحظة القشباب ووثب كل شيء منها ! »

طبعا هذا ساذجان .. لم يريا كن ما رأيت في حياتي .. بالنسبة لهما هذه نهاية العالم ، بينما رأيت لنا فصيلة كاملة من أشباح القاريين ، وتعقبتي مومباوات ، ورأيت الكثير من لتحريك عن بعد وحراس الكهوف وعبرت الكثير من القجوات إلى عوالم أخرى ، ونزلت ضيفا في جانب النجوم .. باختصار لا أعقد لتي قبل للاندشة .. بل صار ما يدعشلي هو ألا تنب القشباب من الخزائن في وجهك ..

لها بعد لحقت الأم بينما وهي تمسك صدرها في حرص كأنها تخشى أن يثب قلبها منه .. عرفت أن الفتاة سليمة .. إن لم يكن أي شيء بعد هذا ..

على كل حال كان من الواضح أن المعرضة صائفة ..
إنها متزنة جداً ولن تقوم ببيع ثياب ثم تبدأ في الصراخ
باعتبار هذه فكرتها عن التنسنة ..

قالت الأم وهي تنظم خديها :

« هناك (بمع الله الرحمن الرحيم) في هذه الليلا ..
كنت أعرف هذا .. »

ثم صاحت في (مختار) تبالس :

« لو سمعت كلامي وتركت الشيخ (أبو ياسين) يكمل
عمله .. لو سمعت كلامي وبعث هذه الليلا (المدخولة)
لأول عابر سبيل .. أقسم بالله أني مستعدة لبيعها لمن
يدفع عشرين جنيهًا .. لا .. لن أفعل ذلك .. سأمنحها هدية
لأبي متسول يمر من هنا .. »

تقلب عليه طبع للتاجر البارع فقال :

« نوقت هذا لما وجدت مشترياً .. حتى العشرين جنيهًا لن
تجدني من بدفعها .. الطريقة الوحيدة لبيع شيء لا تريدني
هي أن تحددي سعراً غالباً يفوق قيمته بمرات .. عندها
سوف ينهل عليك المشترون .. لكني لا أفكر في البيع .. »

« متى تغفل ؟ بعد أن تضعي ابنك ؟ »

« لو كان بيع الليلا سيجعلها تلبس ثياب هذا خلا .. »

وتنظر إلى الساعة .. إنها العاشرة مساء ..

وقت مناسب جداً لاستدعائي .. نعملاً لا أتعجب إذا كان
هذا ممكناً ؟ هذه مسألة مبدأ كما تعرف .. هكذا تجه إلي
الهاتف ليطلبني ...

« يا (ماري النورية) .. أنا قتلت أطفلك ! »

هذه المرة لم أكن وحدي ..

كن معي شاب رقيق ليمن يذكوه وثه ذلك ملائح (عني
مصطفى مشرفة) كما تراه في قصور .. (شيمون القوي) ..

استغرق (مختار) وقتاً طويلاً كي يلهم من هذا الشاب .. إنه
لهو زمني .. هذا كالف جداً كما يبدو لأن أستاذي لبيوت
تفتت المصنبت بقيوية .. لم يكن لديه وقت لهم هذا شهراء ،
والحقيقة أن (مختار) لم يهترني إسمًا متزناً في أية لحظة
من حياته .. ربما اعتبرني طبيباً بارعاً لكنني ألقنت له من
مرض عضال ، لكن من ناحية التعامل الإنساني لم يكن

ليأتكننى عنى علة ثقاب .. كان يؤمن بالقلى لا اللهم شينا
عن الحياة وأنتى إذا شترت خسرت وبذا بعثت .. إن
معلوماتى عن العقود وإجراءات التقاضى تشبه معومات
طفل .. إننى لم أتزوج لهذا يبقى نصف الحياة مستقلاً على
فهمى . ولم أجب فلا يمكن أن أفهم قيمة الأبناء ..

ولأسباب كهذه اعتبر (مختار) أن صديق المقبول
مقبول آخر أو ربما معبود ..

قلت له وأنا لربت على رجل (سليمان) :

« لقد قصت بـ (سليمان) عنى بقبلى قبل أن أتى بك .. »

قال (مختار) فى ثبات :

« فهمت .. هذه خدمة نأ أسأها .. أنت تعرف كم أن
حاجتنا ماسة للفيزيائيين هنا .. »

تجاهلت سخريته . وسألته عن أحوال مكتب المحاماة
فقلب كفه فى إبداءة معروفة معناها (لم تعد لى علاقة به)
ثم أضاف :

« لا وقت عدى ولا أنتك قبل للاق للانظام .. إن كل
شء يعنى به المحامون المتكربون عدى وأستة (هوى) ..
من فضل الله أنه شديد البراعة .. »

مساء الصمت .. ثم جاءت الزوجة حاملةً صحنه عليها
لشاي وبعض البسكويت .. فتعلت صوت لرشف وانضم ..
وفى النهاية قلت بقم ملءء بالبسكويت :

« لاحظ أن أية مصيبة تحدث هنا تحدث نيئة السبت .. »

تبدلوا النظرات .. بالملء لم يلحظوا هذا من قبل

لرقت :

« لقد أدت أن تكون معاً بينما أشرح ما يدور بذهنى ..
نحن نعرف يقيناً أن هناك شيئاً غير معاد يحدث هنا ..
سعة الأشباح أو القوى النفسية .. ليكن .. هل هنا من
لا يربط بين غيبوبة (رانية) وهذا الذى يدور مؤخراً ؟ »

مساء صمت عبقى .. حتى لفتنى الذى حكيت له لقصة
فى الطريق ظل صامناً ..

واصلت الكلام :

« ما يعطى القصة طابعاً خارقاً للطبيعة هو ما بلى :

أولاً : قصة امرأة والوجه الذى ظهر فيها .. أنا رأيت
وجهاً كما قلت لكم ، ولا أعتبر نفسى هستيرياً تكن الأمر متروك
لكم .. فمن المحال أن يعترف الهستيرى بأنه كذلك ..

ثانياً : الأشباح التي تتحرك .. واضح أن (رالية) رأت الكثير ، وكما رأيت مقعداً يزحف وحده ، ولينة تقول لمرضة إنها رأت ثياباً تطير ..

ثالثاً : كتب المسحر التي وجدناها في القبور ..

رابعاً : غيبوبة (رالية) التي لا يوجد تفسير واضح لها ..

خامساً : رسالة الوجه الذي قال لي أن الفئس في بيت الأشباح .. طبعاً من الواضح أنه يتكلم عن هذا البيت بلذت ..

علينا أن نتناقش لنثبت أن كل هذا هراء .. وكما يقولون في اللاتينية : Reductio ad absurdum .. أي : (البرهنة على سخف هذه الفرضية) ..

قال لي (مختلر) وهو يرشف الشاي :

« هل رأيت أشباحاً في حياتك يا د. (رفعت) ؟ »

قلت في عياسة :

« لنقل إلى رأيت ظواهر كثيرة لا تفسير لها .. تكن للناس ما رأيته أن مؤقلاً لأن حياتي سلسلة طويلة من هذه الأمور .. سأترك الكلام لـ (سليمان) .. »

= ٦ =

« فئت في بيت الأشباح .. وسوف تهديك الأرقام .. »

« فئت في بيت الأشباح .. وسوف تهديك الأرقام .. »

ماء الصمت من جديد ثم بدأ (سليمان) يتكلم .. كان من الواضح أنه مرتبك وأنه لم يعد الخطابة في مجلسي .. لكنه وضع الطبق والفنجان على ركبته وبدأ يتكلم مستعملاً بديه معاً .. هذا شأن الخجولين عندما يشعرون أن الكلمات لا تليقهم فمساعدونها بالأيدي :

« الأشباح نقر مستمر من ألفر ما وراء الطبيعة .. هل هي موجودة ؟ هل من رأوها رأوها حقاً ؟ ثمة مشكلة خطيرة هي أن أكثر الناس لا ترى الأشباح إلا (بالورب) .. ويركن العين .. لا أحد يستطيع النظر إلى الشبح مباشرة ، وهذا جعل العلماء يتكلمون موضوع العصب البصري والبقعة العياء .. ربما كانت هذه جميعاً أوهاماً بصرية .. لا توجد قواعد ثابتة تعرفك بظهور الشبح .. هناك من يشعرون بهد عندما يتواجد شبح في الغرفة وهناك من يشعرون به (شيء ما) .. من جديد تبرز مشكلة علمية أخرى هي أن موجات الصوت التي من

٢٠ ميجاهيرتز ترددًا هي (تحت صوتية infrasound) ..
معنى هذا أننا لا نسمعها لكنها تشعرنا بوجود (شيء ما)
في الحجرة مضا .. إذن يقدر العلماء على تفسير رؤية
الأشباح والإحساس بها .. هناك تفسير علمي آخر هو
ظاهرة الموجات الكهرومغناطيسية التي تسبب الهلوسات
لمسكن البيت .. كل القصور المسكونة تحتها صفور متألقة
ومياه .. الاحتكاك يولد موجات كهرومغناطيسية فلانة على
إحداث خلل مؤقت في العقول ..

- « باختصار ينقسم الناس بصدد الأشباح إلى من
يؤمنون بأنها فعلاً أشباح .. بينما يؤمن متكثرون كثيرون
بأن الأشباح لا وجود لها وإنما هي شياطين .. والفريق
الثالث يؤمن بأنه لا وجود لها إنما هي ظواهر فيزيائية
قابلة للتفسير »

قال (مختار) :

- « حدثنا (رفعت) عن الأشباح لصاحبة أو لـ (البورتو
زيط) .. »

قال الفتى في الحب :

- « لا بد لك تعنى (البورتوجايمت) .. »

- « أي شيء .. لم تفهم بعد معنى هذا شيء .. هل هو
تحريك عن بعد أم هو شبح فعلاً ؟ »
قال (سليمان) وقد بدأ بهدا نوعاً :

- « هناك من يؤمن أن الأشباح بقايا من القوى النفسية
لنفس متوفا .. من يموت يترك خلفه عظمته ونفوس
المنطق يترك فواء النفسية في مكان الموت .. الموت بعنف
يطلق الكثير من القوى النفسية في المكان .. وهذه القوى
تخرج عن نفسها بتحريك الأثاث والتلق وهز القرائن .. هذه
هي ظاهرة (الغضب المسجل) حيث يموت شخص في
حادث فيترك تجمعا هائلا للطاقة في مكان ما .. ويكرر
تجرب هذه الطاقة كذلك تعيد تدوير شريط التسجيل عدة
مرات .. طبعا علماء كثيرون يقولون إن القصة لا تتجاوز
قوى تحريك نفسي لا تعرف الضحية أنها تملكها .. »

نظر لي (مختار) نظرة من طرف (نفس - ما - قلته -
أنت) .. فهلزت رأسي كي نسمع بقية القصة ..
قلت مكمل كلام الفتى :

- « في كل الحضارات هناك كلام عن الأشباح .. وفي
كل الحضارات هناك تفسيرات عدة لوجودها .. مثلاً في

التصين قالوا إن الأشباح هي أرواح حُرمت من حقها في التناسخ .. أقم تعرفون أن تناسخ الأرواح فكرة دينية قوية هناك ، وهم يؤمنون أن أرواح الغربى التي حُرمت من التناسخ تهاجم الناس لمنعهم من ممارسة التناسخ وبالتالي تسلبهم هذا الحق نفسها .. هذا ما يطلقون عليه (مُنْج كيش الغداء) .. هناك معلومات تفصيلية عن الأشباح في كتاب (جارودا بورانا Garuda Purana) الهندي .. أما عقيدة الحياة البوذية (Samasara) فتناقش مفهوم الشبح لتجسس للوجود .. »

نظر لي (مختار) في عدم فهمي قلت :

« شبح لجمع للوجود .. أى إنه تم شيع من عالم نهدا بفضل أن يبقى فيه .. وفي العقائد القديمة في العالم الغربي كانوا يعتقدون أن الأشباح تكمن في (ليمبو) Limbo وهو مكان بين الجنة والنار .. »

سألتني (مختار) :

« ومع تكون الأشباح ؟ هل هي حالات نور ؟ »

« لا أحد يعرف .. أحياناً تبدو الأشباح شغالة بلا كمين ماضى ، وهناك قصص عن أناس لمسوا الأشباح أو تعاملوا

معها ماضياً .. كل ما يجمعون عليه هو مصطلح (جلبة خارجية Ectoplasm) وهي المادة الخام التي تتكون منها الأشباح وتترك أجزاء منها عند ظهورها .. سائل نرج يتجمع على الثوب ويتصلب بعدها »

قالت الزوجة وقد فهمت :

« شيء بالمخاط الذى ينزل من الألف .. هه ؟ »

نظرت لها في بعشة .. هذا هو ما يطلقون عليه (صعت دهر) ونطق كُفراً) .. مساهمتها الوحيدة في الحديث هي الكلام عن المخاط الذى ينزل من الأنوف ..

قلت في ضيق :

« كلشاه لو أردنا الدقة .. نعود لكلامنا .. عامة تولع الأشباح بالإقامة في الأماكن التي عاشت فيها في حياتها ، وبذلك تثيب التي اعتادت ارتدائها في حياتها .. هناك امرأة صحت من النوم في (شاتو دو برالجن) في سويسرا تقري رجلاً يجلس إلى مكتب يكتب .. كان يلبس روبا طويلاً رسعت عليه أزرار .. وكلما نظرت له مباشرة اختفى .. فيما بعد حكى القصة لزوجها الذى سأل مسكن القدامى .. تضح أنها رأت (فولتير Voltaire) انقلاب الفرنسي العظيم الذى كان يكتب في هذه الحجرة في حياته .

- « هك أمكن نعدج به الأشباح ملها مسكن القس (بورلي) Barley Rectory في إنجلترا - وقد شرفت بزيارته - وهك برج (تدن) حيث شبح (آن بولين) مقطوع الرأس .. وشبح (بيكيت) .. وشبح لعشك إدوارد الخامس وشبح (جين جراي) وشبح الرحالة سير (والتر رالي) .. زحام أشباح بشبه أية عائلة عذبة .. ويبدو أنهم يظهرون ويخفون بعضهم .. »

- « ليست كل الأشباح بشرية .. هناك أشباح حيوانات وأشباح بيوت وأشباح قطارات .. »

سألتني (مختار) الذي يلكر في وسيلة للحصول على مال من هذا الذي أقوله :

- « هل هناك أشباح أغرب ؟ »

- « لكلام كثير عن قرين أو دوبلجاذر Doppelgänger - واضح طبعا أن المصطلح ألماني - وهو شبح مخيف لو فكرت في الأمر .. أن تقابل نفسك .. لما مررت بهذه التجربة مرارا لكن لأسباب مختلفة ، إلا أن مقابلة (دوبلجاذر) حقيقي تعني أنك - لا سمح الله - ستموت قريبا جدا .. »

- « شبح آخر هو لنذير أو Wraith ومعناه أنك تقابل شبحا يجمد الدم في عروقك ، ثم تكتشف أن صاحبه حي

وفي مكان آخر بعيد .. على الأرجح يعني هذا أن صاحبه سيموت قريبا .. »

ساد صمت طويل .. وفي انتهائه قلت للزوجة :

- « فلتغير هذه التسمية (المهيبية) .. إن الدم قد تجمد في عروقي .. »

قلت لها :

- « لا ألوكم .. لكننا اليوم نحاول إثبات إن كانت هناك أشباح في هذه الليلة أم لا .. ولهذا طلبت (سليمان) كي يروى ما يمكن صلبه .. هذه المرة لن نعتمد على الشيخ (ياسين) وأمثاله ، ولكن سنعتمد على علم الفيزياء .. الفيزياء ولا شيء سواها .. »

« يا (ماري النمودية) .. أنا فكتك لطفلك ا »

- ٧ -

(من مجموعة خطابات وجدها في وقت متأخر جداً)

القاهرة في ١٨ هـ / ربيع ١٩٦٩ :

أخي (رائد) :

لم يكن هذا أسوأ ما مر بي .. لقد مرت أصوام عديدة ..
توشك عشرة أعوام أن تمر على اللحظة التي نزلت فيها إلى
ذلك القبر الرهيب .. ومنذ تلك اللحظة ارتكبت كماً لا يمكن
حصره من الأثام ورأيت أهوالاً لا حصر لها مع هذه الكائنات ..

لكنني في الوقت ذاته لم أجد شيئاً ولم أزد قوة .. لقد
منحت القدرة على معرفة باللاتينية لكن هذا كان يصب في
مصلحتهم الشخصية في النهاية .. فيما عدا هذا أنا أقدم
في تعمق وزداد وهنا ..

لقد ضحيت بـ (محسن) البائسة من أجلهم ، وقد جاء
رجل شرطة يحرى عنها .. لكن الأمر لم يتجاوز هذا الحد
فهي كما قلت وحيدة في العالم بلا زوج ولا ولد ولا أحد
يسأل عنها .. وقد قال لي رجل الشرطة في النهاية بلهجته
البرطانية ، وهو يعبث بشأري في ذكاء بوليسي خطر :

« يقال إنها هربت إلى (دليشان) »

أين (دليشان) ؟ ولماذا (دليشان) ؟ ولماذا يهرب
الناس لها ؟ ومع تهرب هذه المرأة ؟ لسبب لا أعرف
إجلتها ولم أهتم بتوجيهها لأنني أعرف أن كل هذا وراء ..
أنا الوحيد الذي يعرف أين ذهبت ..

بعد هذا قتت بشيء مماثل مع عامل ممن يبيعون جهنم
لنفس يدفع .. واحد من عشرات يحملون (غلقا) وفأسا
ويبحثون عن أحد يستأجرهم .. طلبت منه أن ينزل إلى
القبر لأن هناك عملاً مهماً .. لاسم أستطيع أن أسلمهم
(سلامة) .. هذا الوفي لا يستحق نهاية كهذه ..

هذه اعترافات مروعة يا (رائد) .. ثم يعد أخوك كما
كان .. لكنني يجب أن أخبر بها أحداً وإلا جنت .. ويبدو لي
أنه لا أحد يقرأ هذه الخطابات البتة .. لا أنت ولا الجهات
التي كنت أعتقد أنها تراقب بردي ..

(وإلا جنت) ؟ كم أن هذه العبارة شديدة التناقض .. أنا
مجنون فعلاً يا أخي ..

لقد كنت معهم ورأيت الكثير مما يفعلون .. يمكنك الآن أن
تلم لهم لماذا يقيمون في قبر ! عندما يفتح هذا القبر من الجهة
الأخرى وتنزل فيه جثة طرحة ! فأنت هناك ورأيتهم يمزقون
الأكفان ويلتفون حول الجسد .. سمعت عواءهم ورأيت جنونهم ..

هذه هي المعاناة البشرية الوحيدة التي لا يجدى معها الفرار الاكلى ولا الرأسي .. لو قررت منهم خارج لبلاد أو قطعت شراييني لألزم منهم تحت الأرض فلا جدوى .. سوف يجدونكم انتم ..

لنا اليأس الذي يضحى بكل شيء من أجل ألقابه !!

دعك من التي لم أعد راغبا البتة في أن أذهب تحت الأرض .. قلنا أحرف ما سحدث لي هناك ! ربما كان هذا لقبر هو قير أمرنا بالذات !

عنى لئلى رغبتي في شيء واحد يعوض لى تلك الحياة الكريهة التي أحبها ..

لقد دنوت من عرش النار الذي يجنس ضيقه (آلميس)
وقلت له بصوت راجف :

« أنا أرغب في تشاب .. لو استحدثت شباهي لخدمتكم بشكل أفضل .. »

كنت أتوقع أن يمزقني لأنى تجلسرت .. الحقيقة أسي لم أعد حيا على كل حال ولم يعد يوصلني عن فكرة الموت إلا تغوير لشريحي بسيط لا يستحق الذكر ..

قل بصوته الفكري لمن حوله :

(« تشبى يرغب فى تشاب .. فهل يناله ؟ »)

تعلت الأصوات :

(« لا أحد يتال الخلود .. لا أحد .. »)

قلت وقد ارتعش صوتى خوفاً :

« لا أرغب فى الخلود .. بل أنا زاهد فيه كل الزهد ..

لئلى بالتأكد لحلم بأن أرفع ساقى إلى ذات المستوى الذى كنت أرفعها إليه منذ ثلاثين عاما بدلا من أجورها جراً .. أن أخرج مثالى من دون أن أبلل أرض الحمام بسبب بروسيتا الشيفوخة .. أن أرى ما كنت أرا منذ ثلاثين عاما .. أن أألم من دون أن أبتلع نصف نسيئة من الزبوية .. أن أأكل ما كنت أكله دون أن تطبق معننى على روحي .. أن أمت وعدتسى بالقوة وأنا لم أتحلها برغم أنى أخلصت لكم عشر سنوات .. »

فجأة شعرت بأننى أرتفع نحوه كأن هناك من يجدنى من عنقى .. وللمرة الأولى صرت على بعد سنتيمترات من هذا الوجه الذى يتغير فى كل ثانية لشيء مفزع آخر .. لم تكن خبرة طيبة على الإطلاق ..

قال (آلميس) بصوت كالمفحج يتراءى فى مخي :

(« كنا نكذب عليك أيها الأرضى .. نحن نكذب بلا

تقطاع .. »)

كنت في لحظاتي الأخيرة أقسمت :

« لكن شيئاً قوياً سوف يمدى لكم من الخدمات أنصف ما
يسديه عجوز فلن .. »

أطلق سراحي وشعرت به يفكر ..

ومن ركن المقبرة رأيت تلك القنبلة الصغيرة ترتفع ..
تصيح في الهواء حتى صارت عند شفتي ، ثم تفتحت ..
وعنى شفتي سالت قطرات من مدلى له مذاق لصدأ ..
ثم تفلقت القنبلة وحلقت مبتعدة ..

(« هذا يمنحك بعض القوة أيها الأرضى .. »)

ثم أشعر بشيء .. وثقت للنفس إن هذا وهم .. دعك من
الاشتمال من عصور الشياطين هذا .. لكنى عندما عنت
لأحسنى درجات السلم ، شعرت بنشاط غير مسبوق .. لا أتم
في الصدر ولا ضيق في التنفس ..

ثم دخلت الحمام لأفحص ما حل بي ففوجئت بالوجه
الذى طالعتني في المرأة .. هذا وجه لأم منذ سنوات ..
هناك شعرات سود ظهرت من جديد .. هذه القامة المنتصبه
التي حلت محل القامة المحنية السقيمة ..

إلى رابع

إسمير الشباب أنك قدم لي إسمير الشباب ..

هؤلاء يعرفون ما يفعلون فعلاً .. يعرفون الكثير ..

= ٨ =

(من مجموعة خطابات وجنوها في وقت متأخر جداً) :

القاهرة في ٢٠ مارس ١٩٦٩

أخي (دامت) :

لم يدم هذا التأثير الساحر كثيراً ..

- « لا أرحب في الخلود .. بل أنازعت فيه كل الزهد ..
لكنني بالتأكيد أحلم بأن أرفع سالكى إلي ذات المستوى الذي
كنت أرقعها إليه منذ ثلاثين عاماً بدلاً من أجزائها جراً .. أن
الفرغ مثاقني من دون أن أبتل أرض الحمام بسبب هروم مسنقات
الشبيخوخة .. أن أرى ما كنت أراه منذ ثلاثين عاماً .. أن
أقام من دون أن أبتلع نصف مسلة من الأكوية .. أن أكل ما
كنت أكله دون أن تطبق معدني على روحي » ..

أولام مارست ذلك الشعور الرابع . لقد تخلصت من آلام
الشبيخوخة واستعدت الكثير من شيبهني .. لقد كنت مريضا
حتى أنني جمدت الله على أن (سلامة) صار واهن البصر
لا يرى تقريباً وإلا نسل أسئلة .. أسئلة كثيرة جداً ...

على أنني بعد أسبوع بدأت أترك أن المفعول مؤقت ،
وأنتي أعود إلى هينتي الأولى ..

وفي تلك الفترة راحت فكرة إنسير الشياطين هذا توريق
لكري طيلة اليوم ..

لقد وجدت الحل .. شعرت بمذاقه على شفتي ثم لحيت على ..
من تغريب قلبي في تلك الأيام راحت أشكر شيبهني .. التزاج
على التزوج في (سان موريتز) .. (سيراكين) ضحكك وكومت
الشيخ وقتقت به في وجهي ثم التفتت كراصة تنزلق فوق
شمنجر ، وأقام تكرر .. نقلت وجهي ثم تطلعت لأسفلها ..
ومسقلنا فوق التزوج الهشة فنهضت وراحت تسبني بللمسية
وهي تلفظ شعرها الذي له نون مشابه القمح :

« Tu es totalement fol. Tu es un sac de bi soleté » -

كيف تكون هناك شتائم في هذه اللغة الرقيقة ؟ هذه لغة
لا تصلح إلا لإشاد لشعر ..

(باريس) ولعشى في الحى القلائبي حيث يجلس الثلاثة
على الأرض يرسمون بالطين شور .. كنت من أوائل من تخلصوا
من نظريوش لكن ملامحي الشرقية كانت ظاهرة للعيان ...
سهاقي معك على ظهري جوادين جامحين وسط الحقول
بينما أطفال الفلاحين ينظرون لنا في دهشة .. كأننا بطلان
إغريقيان من الأساطير فما مزيج من الجمال والقوة ..

كل هذه المباح ضاعت ليدي .. أضعها لعسكر أولاً
وأضعها للمنون ثانية ..

عرفت أن (هاني) ابنك سيذهب إلى كندا .. سيقيم هناك
للأبد .. لا تحاول متعه وتكر أن تحده هبة الشباب وهذا
شراء طفله للأبد .. أنت لا تستطيع عمل هذا وأنا لا أجور
على ذلك ..

تورثني فكرة الشباب الذي لم يملكه أسوأ ثم ضاع ..
أعترف بهذا ..

كامل

القاهرة في ١١ أبريل ١٩٧١

أخي (داني)

أكتب لك هذا الخطاب بمجرد عودتي من الاحتفال بمرور
ثلاثين عاماً على موت .. لقد فعلت شيئاً رهيباً لا أدرى كيف
جرت عليه ..
لقد سرقت تلك القنبلة التي أرتأت نفسي منذ ذقت قطرات
منها ..

نقد كنت معهم في القبر وكدتوا ببقيمون احتفالاتهم
لصاحبه ، لكن لمسيب هذه المرة هو أن هناك جثة جديدة
مخلت القبر من فتحته الأرضية ..

كنت أعرف هذه الأعراض .. لقد حدثت فوضى عامة ثم
احتشدوا جميعاً حول الجسد كأنهم ذئاب تلتهم فريسة .. من
حين لأخر تراهم بالقلد ذلماً ثم تراهم أقرب إلى صورة
الفيلان في الكتب القديمة ، ثم ترى مجموعة من المسوخ
لهبوا كالموت على أوراق لعب (التاروت) .. تمهم أنهم
محتشون وانهم يأكلون بلا انقطاع ..

لم يكن أحد يتفكر لي ..

هنا فقط فرت أن الأمر يستحق المخاطرة .. كنت تلك
القنبلة توضع على نثر صغرى في ركن يمكن فأتجهت
لألف جولها ، ثم منعت يدي فمستها في جيبى وأنا
لا أزالهم بعيني ..

بها مخاطرة .. يجب أن تقترض أنهم سيقرعون لكبرى ..
سيعرفون ..

لكن هذا لم يحدث لسبب لا أعرفه .. فقسطتنا منى
(أنيس) ولتحم ينسقط من قمة .. وقال لى بصوته القوي :

(.. لأن تتدفق معنا هذه النوجة إليها الأرضي ؟)

قلت وأنا أخفض بصري :

- .. نعم .. كن شراً إلا هذا .. لرجو أن تسمعوا لى بالرحيل
لأن هذا لمشهد يسبب لى الدوار ..

كانوا يعرفون أنني أفقد وعي بسهولة تامة كلما مارموا
شوقاً من عاداتهم ..

قل وهو يدور من حولي ويرمقني بعينين من نار :

(.. لى المرأة القلعة ذات لنا نهيداً .. الكثير منه ..)

الحقيقة أنهم مولعون بالخمر .. وهي حقيقة ثم لأن
أعرفها عن الشياطين من قبل ..

هزئت رأسي أن نعم وتراجعت للخلف كعادتي .. هنا عاد
يقول لى :

(« تذكر عهد اتم أيها الأرضي أن تخير عنا مخلوقاً
حتى لو كان ضميمك ! »)

- « سأذكر ذلك .. »

ورحت لركض مبتعداً عبر الغمر .. وصعدت للدرجات
إلى تيلر ..

ولى القيو فطنت إلى ما قمت به .. لن أجدو بلعتي ..
هذه شياطين تشرب الدم وتكُل الموتى فكيف تتخيل بنا
أحمق أنك تستطيع خداعها ومراقبتها ؟

صعدت إلى غرفتي ووقلت أتلألأ وجهي في المرأة ..

لما وقد سقطت القأس على الرأس فلا لعل من أن أستغل
للفرصة التي منحت لى .. لن أكون كمن يقتل من أجل
الملك ثم يلقى بها مرقه في القلعة ..

ثم قررت شيئاً أفضل .. جرعة من هذا الإكسير وأعيد فقيسة
لهم .. ربما لن يلاحظوا .. ربما .. فقط لا بد من جرعة ..

هكذا مدت يدي وحازلت نزع الغطاء .. إنه أقرب إلى
سدادة زجاجية مشورة بهف في الغلق ..

لا جدوى .. إنه ملتصق تمامًا .. حاولت عدة مرات فلم أستطع .. بينما هي حُلقت في الهواء مفتوحة لتسكب نفسها على شفتي عندما كان (أنفيس) هو صاحب الأمر ..

أجريت ساعة كاملة حتى أنلسي لسُخلت بعض الماء ووضعت العنق في البُخار .. لا جدوى ..

طبعًا ليس واردًا أن أحطم عنق للفتية .. لا أجرؤ على هذا ..

هكذا وجدت نفسي في مأزقٍ حقيقي .. سرقت للفتية ولا أستطيع فتحها ..

ماذا أفعل ؟

كامل

- ٩ -

كان اسم الرجل (نيسلا) .. (نيكولا تسلا Nikola Tesla) ..

عالم عالم هو .. عالم مرموق محترم ، لكن آلاف التصاريح استغلوا تجاربه بعد هذا ، حتى صار اسمه مقترنًا بالأكاذيب .. وفي أواخر أيامه لم يكن الجيران يعرفون عنه إلا أنه (واحد من هؤلاء العلماء المجانين) ..

لكنهم لا يعرفون أنه الرجل الذي تُعجب (إديسون Edison) وسبق (ماركوني Marconi) إلى اكتشاف الراديو ، لكن فضل هذا الاختراع ذهب إلى العالم الإيطالي ..

كانت حياة الرجل متسلسلة غريبة من التجريبية والجنون والتحصن الخارق للعادة .. وبعد موته - كالعادة - عرفوا قيمته الحقيقية .. وقتلوا إنه (الرجل الذي صنع القرن العشرين) ..

كروني المولد .. رأى لتور عام ١٨٥٦ .. منذ طفولته اهتم بالكهرباء وتلك القوة العالية الموجودة في البرق .. وفي الوقت ذاته اهتم بقراءة رواية (فانوست) ..

لرجل الذي باع روحه للشيطان مقابل الحكمة .. هل لهذا معنى ما ؟ هل تقصر هذه القصة فلسفة حياته ؟

في العام ١٨٨٤ هاجر إلى الولايات المتحدة لبدء حياته الحقيقية كواحد من أهم علماء الكهرباء في التاريخ ..

كان (إيسون) لعالم الأمريكي العظيم - أبو المصباح الكهربى - يعرف العبقرية عندما يراهم . وقد أدرك أن هذا الكروانى لتحليل العصبي يحوى بذور العبقرية .. ضمه إلى مخترعه وساعده كي يدرس التيار المتردد الذى يحلم بأن يجد الإمكانيات لدراسته ..

على أن العالم الأمريكي العظيم لم يكن بذات العظمة من التحلية الأخلاقية .. هذه أشياء تلهش عندما نسمعها عن (باستير) و (ديزنى) ومواهم .. وهذا ينبع من اعتكافنا لراسخ أن العلم لو لفن والأخلاق لا ينفصلون .. لقد كان (إيسون) مخلص نساء اعتصر من قسب الموهوب عشرات الاختراعات ثم لم يمتن المشروع الوحيد الذى كان يحلم به ..

هكذا يترك الشباب القضايب شركة (إيسون) ويمارس أبحاثه كيلا تمكن من تمويلها .. درس التيار المتردد والكهرومغناطيسية .. وفى أحد المعارض العلمية عرض (بهضة كولومبوس) وهى بهضة نحاسية يجمعها التيار

الكهرومغناطيسى تطف على طرفها .. طبقاً هذا الاسم تسببه للتحدى الشهير الذى واجه (كولومبوس) فى البلاط عندما طلب منه الملك أن يوقف قبيضة على طرفها المستدق ..

قبل أن يكتشف (رونتجن Raentgen) لشعة إكس اكتشفها (تسلا) ..

قبل أن يكتشف (ماركونى) موجات الراديو اكتشفها (تسلا) .. وجن جنونه عندما نسب الاختراع لـ (ماركونى) ولعل هذا الأخير جائزة (نوبل) ..

عندما تمسك بجهز لتحكم عن بعد (ريموت كونترول) فأعلم أنه واحد من اختراعات (تسلا) التى لم تظهر بشكل تجارى إلا فى الستينات ..

قبل أن يكرس العلماء وقتهم لاكتفاد الإشارات الغريبة الفلكية من الفضاء الخارجى ، وقبل أن يولد (كارل سيجان) استطاع (تسلا) التقاط موجات غامضة من جهاز استشعار لباد فى (كولورادو) وقل أنه يعتقد أن مصدرها كانت حضرة ..

كان (تسلا) يؤمن أن التيار المتردد هو الطريقة المثلى لتوزيع الكهرباء ، بينما رأى (إيسون) أن التيار المباشر هو الحل .. وهكذا عرفت أمريكا ما عرفت بحرب الكهرباء بين عالمين عظميين ..

أما حلم (تسلا) الأعظم فهو أن تسلا الكهرياء الهواء حولنا وأن يحصل عليها الناس من دون أسلاكه .. أن تكون الكهرياء كالهواء تحصل عليها في أي مكان متى أردت .. من أجل هذا الغرض قدم أولاً باختراع برقي صناعي وآه الناس يضربون قنصاء على ارتفاع ١٥٠ قدماً (خمسة وأربعين متراً) وقوته ملايين الفولتات ..

ثم بدأ إنشاء التحلل الكهربي العلم (واردنكليف Wardenclyffe) الذي يحلم به في (شورهام) بـ (لوندج آيلاند) .. وهو مشروع لم يكتسب لكن السرج ما زال موجوداً حتى اليوم ..

كان مصلاً بعدة وسؤوس ومن ضمنها أنه كان مهتماً بفرق ٣ .. لا يدخل بيته إلا بعد أن يدور حوله ثلاث مرات ويغسل يده بثلاث قطع صابون .. إنسخ .. وهذا جسد فكرة لجنتون لدى من كانوا يجهلون عبقريته ..

من ضمن ما حلم به نوع من أشعة الموت التي يمكن تسليطها على الأعداء .. ثم مات في نيويورك أثناء الحرب العالمية الثانية ... ترى تسلا كان أول ما قدم به رجل (مكتب الاستخبارات الفيدرالي FBI) بعد وفاة لرجل هو الإنكلياء على كل أوراظه وتصميماته ؟ لماذا ظل بعض هذه الوثائق مذكورة حتى اليوم ؟ ما معنى هذا ؟

على كل حال قد مات (تسلا) لكن الظماء حقاً عرفوا قدره .. وما زلت قوة (تسلا) على القمر تجعل اسمه ككثير من الجير له لم يعرف به على كل حال ..

وفي كل مكان فكر علماء الجيولوجيا في تجاوبه .. ولست لهم ذات قيمة ما ..

« يا (ماري المموية) .. أنا قتلت ليلتك ! »

عندما تولدت لمباراة البيك آب أمام القيل والراج جمالان يتفان ما فيها إلى الداخل ، شعرت بذهول .. فلم أتصور أن الأمور بهذا التعقيد ..

كان (سليمان) يركض هنا وهناك وهو يوشك على الموت رعباً ..

.. كنت لا تحلم هذا الجهاز بهذه الطريقة .. ولست لعثرس وإلا تشرت .. هذه الأجزاء حساسة وثابتة لكيامن صلب ..

لكن الأمر مر بسلام ، وسرعان ما تكومت هذه الحمولة الغريبة في اللوين ..

هرع الفتى ليندك السيارة لأجرها .. وشاول بعض البقشيش للحمالين على سبيل (تحاشهم) .. ولم يرق لهم طبيعة الحال .. كانوا يتوقعون حصولاً مجزياً من أصحاب فيلا بهذه الفخامة ..

عاد الفتى يجفف عرقه بينما راح (مختار) يتأمل الأجهزة العديدة .. وقال وهو يداعب شاربه :

« هل تتوى أن تنقل محطة توليد لفسد العالى هنا ؟ »

« لبيتى أستطيع ! »

كانت الأجهزة معقدة وكثيرة ، لكن طبع الفصليم المنزلى يغلب عليها .. معظم هذه الأجهزة الرأسية لمتنصبة تم تركيبه على شعاكات . شعاكات غرف النوم الرأسية وقد بدا واضحاً أنه ابتاعها من محلات الأثاث المستعمل لأن حالتها كانت تثير الشفقة .. هناك أسلاك معقدة ملتفة حول بعضها والكثير من شرائط لصق الكهرباء ، من الواضح أن الأسلاك مجمعة من بقايا مختلفة .. كلما وجد سلكاً ربطه في الجزء الذى لديه كما بلغل البخلاء الذين يجمعون قطع

الخيوط .. هناك أكثر من (فولتامتر) تم تشييته إلى بعض الأجزاء . أما الشبكة لعملاقة التى تخرج من هذا الحامل الرأسى فمن الواضح أنها أسلاك من النسي يشبونها على بيوت الدجاج ، ثقله لحمها ببعض للبندو كأنها شبكة ردار .. كان كن شيء مثبتاً (بأسك) مطاطى من الذى يستخدم لى ثياب الداخلية .. إهم .. جزء منها بالكديد ..

قال (مختار) وهو يتأمل هذه التعديلات :

« هذا ميرك .. »

« ربما .. لكنه ميرك يعمل وليست ألعاب حواء .. »

كانت الفتى وأنا افتح أحد الصناديق :

« لقد كنتك هذا ثروة .. »

« نيس كما تعتك .. أنا مثلس أصلاً .. أطلع الكثير من مجلات الهواتف وأعرف كيف لصنع أشياء كثيرة بأقل تكلفة أو بلا تكلفة .. جهاز التغذية الذى استعمله لى بيتى صنعته بنلس .. عدى عدا (جابجر) من تصميمى لم يكلفنى إلا عشرة جنيهات .. »

وأصدر تعليماته لنا بأن نساعد .. هذا الجهاز هنا .. ذلك الجهاز هناك .. لو سمحت مد هذا المسك .. نعم .. خذ

معك إلى أعلى الدرج .. وأنت يا أسندة (مختار) .. لويد
أن تضع هذا في غرفة نوم (رقية) ..

تعثرت الزوجة في أحد الأسلاك فسقط جهاز على الأرض
وتحطم .. لكن لفتي لم يمان وأخرج معكاً وبلمسة متعجباً
وراح يعبث بركبتي في يفتق

مررت بجواره فسمعت بهنس بكلمة لمسه لكن الكلام
كان لي :

- « شكراً .. (رفعت) »

رفعت حاجبي مستغلاً فقال دون أن يلتفت لي :

- « لم تحصلي خطاً معزولاً لمسة الحياة بهذا التحسن ..
عندما تنقبها كنت ضاعفاً وكنت قادراً على التلاحق عليه من
تسم دون أن يرفف لي جان .. اليوم أنا متعجب بالكامل في
هذا وأشعر بأن لي نفعا .. كنت بحاجة إلى من يثق بي ..
واحد فقط يثق بي في ألقى بنفسه .. أنت فعلت ذلك .. »

لم أرى وفورته .. لأنني لم وفقت لحظة واحدة لا تفجرت
في ابتكاه كالطفل مع ضرب الأرض بقضبي وركلها .. ما
لا يعرفه هو أنني وثقت به فاستغل ثقته بنفسه .. وهذا -
تصور - جعلني أثق بنفسه .. دائرة بالغة التعقيد من

التمتع والأخذ لا تتمتع بها إلا عواطف محدودة من التي
تسرى في اتجاهين مثل الحنان والنفقة .. عندما تحضو الأم
على رضيعها فهش الضحك لأنه يعطيها الكثير جداً ..
أكثر مما يأخذ منها ..

ومنط هذه العواطف تدقل (مختار) ثم عصبية :

- « من تظن أنني سأتركه يمارس ألعاب العفاريت هذه
هنا ؟ »

قلت وأنا لبعده عن المشهد :

- « ليس لديك الخيار يا (مختار) .. أنا لقي بهذا الفتي
وأعتقد أن عليك أن تثق به .. لن تفسد شيئاً .. لاحظ أننا
قررنا أن نجرب التجربة مساء السبت - أي اليوم - لأن
كل ما حدث هنا من أحداث وقع في هذا اليوم .. لو كانت
هنا المباح لمتمت يوماً .. »

عندما انتهى (سليمان) من كل شيء بدا البهت كأن
خرواً فضائياً قد استولى عليه .. كبراج مراقبة في كل مكان
والسلاح والعوالم وكشالات صغيرة مربوطة إلى أسلاك
تترقص كأنها حيون كانتات فضائية .. هناك شبكة معنوية
في كل غرفة تقريباً ..

قلت له :

« والآن أرجو أن تشرح لنا ما تلوى عمله .. »

جلف عرقه وأعاد التمدل إلى جيبه وقال :

« (تسلا) .. »

عد (مختار) يسأله :

« تسلم ؟ تسلم من أي شيء ؟ »

قال الفنى :

« تكلم عن (تسلا) المخترع الكروتنى العظيم .. لقد صنع برج (وارفنكلوف) لنشر الكهرباء في أجو .. أراد أن يمد الناس الأسلاك فأخذوا الكهرباء من الهواء مباشرة .. فيما بعد فكر العلماء في فئاس الموجات الكهرومغناطيسية في هواء البيوت المسكونة .. إن موجات (تسلا) هذه تنشط الظواهر الخارقة .. ولمسوف نسل أي تغير في الموجات .. أي نشاط كهرومغناطيسى غير معتاد .. من يملك مد شيء .. في النهاية يمكننى أن أقول لك ما إذا كانت هناك طاقة نفسية في هذه الفيلام لا .. »

قلت وأنا أعتقد أننى سمعت هذا الكلام من قبل :

« هل لديك تجارب تشهد بصديق هذا المعتقد .. »

قال في توتر :

« لقد جربت على الحيوانات كثيرا .. عندما يموت الفأر وهو يتكلم تتبعث منه طاقة لا شك فيها .. وهذه الطاقة نضل في مكان فترة لا يلس بها .. ربما عدة أيام .. بعد هذا صرت قلرا على الطور عنى جلته لأن أجهزتى تشع بها .. »

قلت له (مختار) :

« هل تفهم شيئا من هذا الكلام ؟ »

قال في غيظ :

« وهل تفهم أنت ؟ لا تقل لنى الحمل الوحيد هنا .. »

ابتلعت التعليق الذى أردت قوله واضلت :

« لا لأهم إلا شيئا واحدا .. لقصة قديمة حى أن هناك شخصا مدفونا تحت الفيلام في جدارها .. ترى هل هناك شيء كهذا ؟ ولو كان كذلك فلين هو ؟ أعتقد أن تجربة (تسلا) هذه منوف تكوننا لشيء ما .. »

فيما بعد - في الثمانينات - فرك عن تكثير (هتشيسون Hutehison effect) الذى يستخدم نفس تجارب (تسلا) ..

الكنعاني (هششسون) في ليتوار قادر على رفع أجسام عن الأرض ، وتغيير صفات البلورات ، ودمج الخشب بالحديد ، وتهشيم المعادن .. إلخ ..

لغة لغة مخيف بحيث يتوارى (تستل) العتيد هذا .. الخلق
في كل ما يحيط بكنوز العالمين مشرق ..

لكن (مختار) كان مهتماً بنقطة أخرى :

« الكهرياء .. ثم يستهلك هذا الشيء من الكهرياء ؟
أعتقد أنك ستأخذ الكهرياء من عادي »

شرقاً أو غرباً ؟ هذا كان أسطوري آخر مثله مثل اليهودي
المسيحي أو الإيزمالي الذي لا يجهل القتل .. (مختار) هو
تشرعاً في الوحيد تبديل على ظهر البسيطة على قدر
عظمى .. كان هناك ولد آخر لكنه مات منذ أعوام .. وسط
كل هذا يلقى على الفتوة الكهرياء ؟

كل (سليماني) وهو يلحم مسكون بخرقة لاصق ؟

« لا أعتقد أننا سنستهلك الكثير .. ثم لنا سلطان جميع
الأنوار ونفصل أي جهاز كهربي .. لا أريد موجات كهربية .. »

« وكيف ترى ؟ »

« على ضوء الشموع .. والآن هل نبدأ ؟ »

صاح (مختار) ينادي زوجته .. لا تريد أن ينكس أحد
وحده .. هناك تلك البقعة الغارقة في غيبوبة .. لن يحدث
لها شيء إن شاء الله ..

ابتلعت قرصاً من دواء الضغط وقرصاً من موسع
الشرايين التاجية حتى أكمل ما قد نراه ..

أضعلوا الشموع .. لحيصوا الأنفاس ..

فلتوصل لتتوارى الكهرياء يا (سليماني)

(من مجموعة خطابات وجدوها في وقت متأخر جداً .. الخط مختلف تماماً ويشبه خط الأطفال)

القاهرة في ٢٥ أغسطس ١٩٧٨

أخي (رامي)

لم أكتب لك منذ فترة طويلة ، وأنت لا تسأل عني على الإطلاق .. كنت أوقع خطتي واحداً .. أنا أكتب لك منذ عشرين عاماً بلا استجابة ويبدو أنكم قررتم أنه لا وجود لي ، أو أن خطاباتي ألقيت بالناس من الطير أن تتساءل .. فقط (جملة) اتصلت بي ثلاث مرات في عشر سنوات ..

أعتقد أنك لا تعرف أنني أصبحت بجلطة مخفية منذ أعوام .. نعم .. كنت أتناول الطعام عندما جاء (سلامة) يتوكأ على عصاه ويمسكني عما إذا كنت أريد شيئاً فكلت ردي هو (مفلطحة منق) ..

وعندما دنا ليقيم وجد أنني أنظر له في ذعر .. لقد صار نصلي الأيمن عاجزاً عن الحركة تماماً .. والتوى ركن فمس .. كنت مكموماً إلى جنب المقعد ككيس غسيل وهي حالة مزرية لم أتوقعها ولم أرها في كوايبيسي ..

فرع القيسن يجلب لي الطيب .. وتخلت المستشفى بضعة أيام ، وفي النهاية عرفت أنها جلطة مخفية .. خرجت من المستشفى على مقعد متحرك إلا أن هناك ممرضة الضمت لأهل بيت تقوم بمساعدة علاجي وإجراء علاج طبيعي لي .. هناك معكم يقوم بالإجراءات لعمية لي ، و (سلامة) يغني بالبيت كله لخي ..

لقد تحسنت كثيراً فلا تقلق (إن كنت تغلق على) ، وقد استغفيت عن المقعد المتحرك منذ عام .. يمكنني أن أستعمل العكاز وأن أصدق وأهبط .. يمكنني النزول إلى القبو .. يبطء شديد لكنني على الأقل لمت بحاجة لأحد .. يمكنني أن أكتب .. صحيح أنه ليس ذات الخط الجميل السابق لكنه مقروء ..

هناك مشكلة واحدة لكنها ضخمة بالكل .. منذ أصبت بالجلطة لا أستطيع أن أرتد هؤلاء القوم في المقبرة .. حتى بعد ما استعدت حركتي نوعاً ما زلت في حالة لا تسمح لي التمتع بالأنشطة لرجعت مثيرة في جدار بئر ، وأشي في تلقى مظلم ثم أعود .. تلك مشكلة .. لكن الأخطر منها هو أنني لا أستطيع إعادة ما سرقته ..

لقد باعشت العرض قبل أن أعيده لقيته إلى أصحابها .. طبعاً عهد الدم يعني من إطلاع واحد آخر على السر .. واحد يقوم بإرجاع القليلة بدلاً مني .. لقد كان عهد الدم واضحاً لي أن السر سيبقى داخلي ، لكنه لم يتكلم عن إعادة

قمت بما كان يجب أن أفعل به .. طلبت من (سلامة) أن يتصرف ويأتي ببعض العمل ليصيروا الأسمنت في قاع القبو .. كلام كثير عن الرطوبة والمياه الجوفية والفتور التي تتسلل .. إلخ .. أي كلام يقع هؤلاء الفضوليين بأن ينفذوا دون أسئلة .. قمت قبل قديمهم بإخفاء فتحة البئر - الفتحة التي تغطيها القضبان - بالورق المقوى ثم دبريتها بالغبير .. وهكذا لم يلحظها أحد وقد قاموا بالنصب وتجمدت الطبقة .. هذه الفتحة قد توارت للأبد عالم لأجل أنا من يعيد فتحها

بعد هذا قمت بإعادة كل ما كنت أخزئه في القبو إليه .. لإرجاعات الفارغة التي كنت أملؤها دماً .. لم تعد المتحرك الذي استقيت عنه .. شيلي القديمة .. حتى صور مراهقتي .. هل تذكر كم كنت أعشق (فاضة رشدي) ؟ لن يلاحظ أحد شيئاً على الإطلاق ..

لا أعني بهذا أنني صرت آمناً .. لكن المراد بذلك .. لن يجد الفتحة شخص آخر من بعدى ..

بقيت مشكلة لتقنية التي تحوي سر الشباب والتي عجزت عن فتحها طيلة هذه الأعوام .. لا تطلب مني أن

لمسروقات .. إن الألووية لتصلت .. لا أريد أن أعطي حذافة بحملة أخرى ..

لماذا تركوني في هذه الأعوام ؟ لا أعرف .. بل تطيع هم لا يعرفون قزمن كما تعرفه .. ربما كانت القرون عندهم مثل دقائقنا أو ثوانينا ..

هم الآن غاضبون لأنني اختفيت ولم أعد أنزل لهم .. غاضبون لأنني سرقت التقنية .. لا أعتقد أن لغنائها لم يلحظه أحد بعد في هذه الأعوام ..

الآن صار الوضع كما يلي : رجل عجوز معوق يظن أنه غشبة كلفت لا قبل له بها .. لا قبل لشربة بها .. وتقام هذه المخطوطات أت حتماً .. وهو يتجاوز المسافات والأزمان .. ويحل بالأهل الأبرياء بسهولة ثامة وبلا تنقيب ضمير ..

أعتقد أنهم قد يروون على المجيء إلى .. قد يروون على استرداد التقنية ، لكنهم يظنون أن ينظفروا .. أن يثيروا الذعر في نفوس ..

لا أعرف متى تأتي اللحظة .. لكنها آتية .. أعرف هذا يقيناً كما أعرف أن اسمي (كامل) ..

كامل

الجزء الثالث

أسطورة بيت الأشباح

« هؤلاء لا يريد أن تصل الرسالة إلا لمن يصرف هذه الأمور ..
باحتساب كان يسلط ساحراً أو شخصاً منهم في السحر .. السؤال
الحقيقي هو : لماذا يريد منا أن نعمل تلقيناً وفتحاً لقبول ما هي
الرسالة ؟ لن نعرف إلا بالمرور إلى هناك .. »

أفتحها عذرة .. صحيح أن هذا هو الوقت المناسب ولكني
لن أجد مناسبة خيراً من هذه للشرب ما بها ، تكفي لا
أجرو .. هذه الفتنة هي لملي الأخير في ألا يمتد الانكسار
للمرئي وأملدكم .. يجب أن تعود إلى حيث كانت ...

سوف أظفيها في موضع من الليل .. لن أصرح بهذا ..
وسوف أترك رسالة مبهمه لمن يأتون بعدى . أخدم سوف
بهم وينفذ ، تكن لن يستطيع أحد أن يتهمني بانشاء
المر .. ستكون طريقة بارعة خلعة .. ومن يجدها
ويلهمها يستحق أن يعرف ..

الآن أتركك في رعاية الله ..

فقط تذكر أنك الذي شورت في هذه القصة الحقيقية ،
والذي لم يستحق قط أن يكون حليفاً للشياطين لكنه صار
كذلك .. صار شليلاً لقرب الشخصيات التي تقرأ عنها في
الأدب العالمي .. خادم (دراكيولا) .. (نيوريلو) .. خادم
(فرانتشيسكو) الأحدث الذي يسرق العقول منه ..

ادع لي بالرحمة ..

لماذا أعرف أن هذا آخر خطاب لكهذه لك

كامل

-١-

لم يكن الشعور محبباً ..

لا أعرف كيف أصفه لكنه يبعث الغثيل في النفس ..
شعور بأن معدتك ليست على ما يرام وأن أنثيك لا تعملان جيداً وأنك مريض تعيس .. عندما جريت جهاز الرنين المغناطيسي MRI بعد هذا بأعوام شعرت بشيء معاكس ، وإن كان معظم المرضى لا يشعرون بالشيء ذاته .. ربما كانت ألتاى حساستين وربما كانت روحي نفسها كذلك ..

هذا التقرُّز على وجهي ونظرت إلى (سليمان) الذي تنمع عشاء في ضوء الشموع ، فقال :

« نحن في مجال كهرومغناطيسي عال .. لا بد من أن يؤثر هذا على أجهزة جسمك .. »

كان الموقف كريهاً .. ظنم دامن وبضعة شموع تجعل لجو حاراً لا يطلق ، مع شعور الغثيان الغريب .. ورأيت أن (مختار) وزوجته لهما على ما يرام مثلي ..

كان الطفل والممرضة قد غلرا البيت .. لا أحد يريد أن يبرا بما ستمر به .. لا أعرف ما ستمر به لكنه لا يناسب الأطفال حقاً ..

ومن تظلم راجع أضواء خضر تتوهج .. المصباح التي تقرأها (سميان) في كل مكان تبيض .. لا أعرف معنى هذا ..

قلت ولما تجفف عرائي واشفق في لا أسقط فائد ثوصي :

- « ما معنى .. هذه الأضواء ؟ »

« لا شيء .. لحظ تقوّل إن المجال الكهرومغناطيسي محكم .. »

ثم أمسك ورقة وراح يخط عليها أرلانا ..

- « لا يوجد شيء مريب هنا .. تعال نبحث في قعره .. »

خرفة (رانية) .. سليبي .. لا يوجد أي شيء غريب .. إنها رائدة في الفرائض كما هي وجزارها شبعة على التومود .. مصباح أخضر يتوهج ليقلّي ظلالاً على وجهها لكن المشهد يوحى بالسلام ..

أبعده وأنا نوكاً على شفتي وأصل شبعة كنتي أحد قرصنة فكاريبي فلا بد أن صوت أضواءت وعن ترتطم بالخشيب بشير لرعب في ثوب الأثنيح ...

المطبخ .. لا شيء ..

اللوبي .. لا شيء ..

غرفة مكتب (مختار) .. لا شيء ..

غرفة نوم للطفل .. لا شيء

القبو .. لا شيء

غريب .. مع أنه مكن موج قعلاً .. دعك من أمنا وجدنا
لنكتب المشنومة فيه .

العلية ..

هنا نظرت له وقد أدركت أن هناك شيئاً ما ..

هذه هي الغرفة الأولى التي لا يتوهج فيها التور
الأخضر .. بدلاً من هذا يتوهج مصباح أحمر يبعث ظلالاً
شيطانية على كل شيء ...

قلت له همناً :

« من هذا يقضى ؟ »

« ش ش ش ش ش »

قلها لي حزم ، ثم أخرج من حقيبته عدداً صغيراً له
مجس في أعلاه ، وراح يمرره على الجدران كما يفعل خبير
الإشعاع الذي يبحث عن فضلات نووية .. أرى أن المؤشر
يتحرك في نشاط وجشع .. ثم قال :

« هناك شيء هنا .. لقد شعرت به .. إن الطاقة
الكهرمقناطيسية قوية »

وتوقف جوار جدار .. دق عليه بيده مرتين فسمعت
صوت لـ (بونك بونك) المميز لوجود ثجوبف .. نظرت لـ
نظرة ذات معنى وابسهم ورسم دائرة على هذا الجزء
الأجوف ..

ثم إننا نزلنا لتتأكد باقى أجزاء المنزل .. لم ينس
الحديقة ولم ينس ينس ينس السلم ولا غرفة نوم (مختار) ..
وفي النهاية اتجه إلى أجهزته ليوقظها .

لقد انتهى ذلك الشعور المألوف .. أخيراً عدنا للنفس
وتنفس كالإنسان ..

انتهى تأثير موجات (تملا) الذي سيطلقون عليه اسم
(تأثير هتشنسون) بعد أعوام ..

ساء الصمت .. لم يقطعه إلا (مختار) يقول في
عصبية :

« لو أننا لصينا بالسرطان من جراء هذا الشيء للعين
فأنت العسلون .. سوف أرفع عليك عدداً من القضايا تضطر
معه لبيع ممتلكاتك الداخلية »

قلت (سليمان) من دون أن يزد على الكلام :

- « من لديك شيء يصلح للفقير ؟ هناك جدار أريد هدم جزء منه في العلية ! »

- « هل جئت ؟ »

قلت وقد بدت أعصابي تتوتر فعلاً :

- « (مختار) .. لو لم يكن لديك صديق إلا إني لتهديد ولقوم فليتنا نكون صديقين لو سمحت لنا بالإصراف .. هذا القبي يقول للكلام الوحيد المنقول في هذه القصة ، فليأمر أن تصغي أو لا تضع وقتك »

لأن لرجل قليل القلب يضع يده على حامل مطرقة كبيرة أقرب إلى (قلوب) ومعهما منك فليأمر يصلح تحويله إلى (قلوب) .. كان يحتفظ بهذه الأشياء ليشر به به يراخ لا يستطيع الحرفيون خداعه ، وكان يصر على أن يتصيد أول حرقى يملكه ليتفقد ألامه أسماء مثل (المنجفرة) و (المتجفا) و (الراداخ) و (البشير) في لا يصيبه الحرقى أثناء سنون الخداع ..

صعدنا إلى علية أرواح لقي بسند القمريفت بشي ذلك الجزء ههش من الجدار الذي يقول (بولنا بونك) .. أعرف هذا الجزء من الخلام الرعب ولخشاه كثيراً .. سرعان ما فتركت المكان كالبهاة فيخرج شيء ما من هذه الفتحة .. شيء كان حبيسا

روايات مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة (١٦١)

من لف علم .. راح الغلط يتهاوى وأدركنا أن هناك لوحاً صغيراً من الخشب وضع على التجويف قبل أن يقوم أحدهم بتسوية المكان بالمحارة ..

إذا انتزعتنا الأسمنت الجلف وبقايا الخشب من القتي يده يتحسس ما هناك .. كان متحمساً للم أجد الوقت لأخبره .. يا أحمق .. لا تضع يدك في فتحة لا تعرف ما بها أبداً ..

لكنه لم يتلق قلادة الفتنة لو تنفوس في إصبعه الإبرة السنية ، وبالتأكيد لم تفيض مومياء (خاليس) على ساعده .. فقط بدا عليه القفر ثم أخرج يده ولبيها كانت قلينة صغيرة سدودة بمسادة من زجاج .. وكانت تحوى سائلاً أحمر غريب الشكل ..

صاح (مختار) في لهفة :

- « دم الابد أنه سبب هذه القصة ! »

قلت وأنا أمسك بالقلينة :

- « لا .. ليس دعماً وإلا لتجسط أو تعفن .. إنه إكسير ما .. وما زلت لا أفهم القصة .. كنا نبحث عن جثة مجهول شبحها هنا فوجدنا قلينة صغيرة .. ما معنى هذا ؟ »

م ١٦١ - ما وراء الطبيعة (١٦٧) أسطورة بيت الأشباح [

لا أعرف السبب لكننا عجزنا عن فتح تلك القنينة ..
خطر لي أن أشتر صفقها بمبرد كما فعل بالبولات الحقن ثم
عشت عن هذا .. كيف أعرف أن ما بداخلها ليس بكتريا
لطاعون أو فيروسات تجرى ؟ أعرف أن هذا كلام غير
علمي ، فالميكروبات لا تحفظ بهذه الطريقة ، لكن لمنطق
يقول إنه من الخطأ أن تفتح زجاجة لا تعرف محتواها
لمجرد أن هذا يروق لك .. دعك من أن أكثر العلماء
يرجعون أن لعبة القراغة تسببها جراثيم متحوصلة
Spores ظلت في الموميوات حية أربعة آلاف سنة ..
« لن نفتحها .. لكننا سنحاول اللهم .. »

قلتها ونحن نجلس في مكتب (مختار) والزوجة توزع
طينا أكواب الشاي كالعادة .. ثم إنني أخذت قرصاً من عتبة
دواء المضطرب وابتلعتها مع الماء ، فقد حان مواعده ..

قال (مختار) وهو يسك بالقنينة ليراها عبر التور :
« لو كان كلامك صادقاً فهذه القنينة هي مصدر كل
مشاكل البيت .. إنها بطارية التي تحرك الأشياء .. إذن
المنطق يقضي بالتخلص منها في الصحراء .. »

« أعتقد هذا .. »

ثم فكرت قليلاً وأضفت :

« لا أعرف من كلمتي على لدرج ، لكنه أمرني بتفتيش
في بيت الأشباح .. لذا فعلنا هذا فوجدنا هذه القنينة .. »

بدا الاعتراض على (سليمان) لكنه قنطر في لب حتى
فرغت من كلامي وقال :

« ليس بيت أشباح .. أنا مثلك من أنه لا توجد أشباح ..
بل هذا هو المكان الوحيد في العالم الذي يمكنك أن تقسم
على أنه خال من الأشباح .. إن أجهزتي عليه فصلسية ..
الشيء الوحيد الذي يحوي قوى لمسية هو هذه القنينة ،
ونحن نعرف أنها ليست شبح قنينة .. »

قال (مختار) بطريقة المفتحة :

« إذن من الذي يحرك الأشياء وينظر في المرايا ؟ خلقي ؟ »

كنت أنا أفكر في عمق ثم قلت :

« من الأشياء التي لفت نظري منذ لبدلية هدوء لكلب ..
لا شيء يشير أصابعه وجنونه سواي .. وقد تعلمت أن
الحيوانات شديدة الحساسية لهذه الظواهر فوق الطبيعية ..
لا بد أن صغته يعنى شيئاً ما .. ثم هناك الجزء التالي من
نصيحة توجه لو أمره - لا أدري - وهو يقضي بأن الأرقام
سوف تهددني .. هذا الجزء لا ألهمه ولم يتحقق »

قال (سليمان) :

« آية أرقام ؟ .. هل يقرع هذا جرسنا عندكم ؟ »

« لا يقرع آية أجراس إلا إذا »

ورحت أفكر في صق من جنيد .. يوشك مخي أن يفلج
وتسبل اللماء من أنسى .. هناك أرقام في مكان ما .. هذا
لموقف مأتوف ..

ولجاء تذكرت ...

قلت له (مختار) :

« تصليم القيل .. للوحة التي وجدناها في العلوية ..
هل هي عندك ؟ »

قال وهو ينهض ليلفتش في مجموعة من الأوراق
وضعها على مكتبة قريبة :

« عدي ضبعا .. إنها مهمة تبين للبيت وهو ما يبدو
أنسى مافقه بسبب تلك المخبولة .. أعنى المدام .. لم تعد
تطبق هذه القيل لحظة .. تراها تشوم بعينه .. واضح أنسى
مأبع لكن بشروطي .. يجب أن أحقق بعض الريح .. فقط
أحتمل يبيعون بسرعة وبلا تنقي .. و .. ها هي ذى .. »

ومن تحت الأوراق أخرج الصورة ذات الإطار ..

ناولها لي فوضعتها أمام (سليمان) وقلت :

« كما ترى .. هناك أرقام على هذا الرسم .. »

قال في حيرة :

« هذه الأرقام لا معنى لها .. إنها لا تقيد المهندس الذي
يصمم القيل .. بل هي مقيدة لسلطانها وتغرض محد في ذهنه .. »

« تلك هي المشكلة .. لم أر أرقنا هنا إلا في هذه اللوحة .. »

مد يده وبحرص لزال خلفية اللوحة فصاح (مختار)
محنرا ، لكن القى نزع الخلفية بشكل جزئي متوقفا أن يجد شيئا
وراءها .. هذا لم يخطر ببالي لكنه على كل حال لم يجد شيئا ..
في هدوء وبلا تعليق مد يده إلى بكرة شريط لاصق شفاف
على مكتب (مختار) ومزق جزءا أصلاح به ما أتلفه ..

قلت له ضاحكا :

« لو صلق هذا ثلثت المشكلة في ثوان .. رسالة من
صاحب القيل السابق تخبرنا أن هناك قتيلا في المكان
الفلاني وأن علينا استخراجها والصلاة عليه ودافه .. وهكذا
يعم السرور وتحل المشاكل ويتزوج البطل البهظة : »

تقتض (مختار) لسماع هذا التحقيق : فطلعت إلى ما فيه من قلة ذوق .. البهظة حتى اللحظة هي (راقية) .. الأميرة القانصة بانتظار قبلة من البطل .. من البطل ؟ ليس أنا وليس (مختار) وليس أنت .. رفعت عيني إلى (سليم) ونظرت له في ارتباك ..

إنه فعلاً من عاتمها .. كلاهما شطاف حزين مرهف غريب في تعام .. لكن من قال إنها قد تعجبه ؟ إنه لم يرها قط .. دعه من أن (مختار) أن يقبل أبداً بعريس مفلس لا يفتته حتى لو كان (تملاً) نفسه .. لا بد أنه يدخر لحي ذهبه عدة ثوابات وممستشرين ورجال أصال لهم أيتاء ذكور ، وهو يعلم بزيعة سياسية مشددة تزيد كومة المال المشتركة وتخلصه المزيد من اللغو الذي يجنيه السجن بل أن الله .. والحقيقة الأقطع هي أن (مختار) أن يقبل أبداً بعريس جاءه عن طريق (رفعت إسماعيل) .. إن العرسان اللذين يأتي بهم للمخابيل مخابيل مثلهم لو .. عني لأفضل تكدير - حلقى ..

لم يدر (سليم) بما يدور في ذهنه لكنه كان يفكر :

« - رأيي الخاص هو عدم التخلص من هذه التقنية إلى أن نعرف ما هي .. واقترح أن نحاول الاتصال بورثة (كامل

اليدراوى) وخاتمها العجوز .. سوف نعرف منهم كل شيء عن هذه الليلا »

قال (مختار) :

« - نخدم من القرية .. قرية اسمها (خارصيت) هناك .. (هنا بيدراوى) فلي (موتوكريش) .. كندا .. ربما يمكن أن نتصل به .. »

قلت في حماس :

« - لا أرى لماذا نضيع وقتنا في هذا ؟ يا ألي بي الليلا وقته .. »

صاح (مختار) وقد لعمر وجهه :

« - عسى قصة شابة مصابة بغيوبة لا يعلم إلا الله سببها .. يجب أن أعرف .. لنكلمنا لي إن تهذا علاقة بهذه الليلا اللعينة .. إن علي أن أعرف كل شيء .. أقسم بالله لو كانت (رونى) سليمة لما حركت إصبعي في هذا الموضوع .. »

ولجأة رأيتها بالمران لي في فلق ..

-٢-

ماذا هناك ؟ الفتى ينهض ويطلب لى كوب ماء و(مختار) يفتح المروحة ويضعها جوارى ويقول لى :

- « آسف إذا كنت قد استلزلت .. استرخ .. »

ماذا يحدث ؟ هن جن الجميع ؟

كنت فى دجشة :

- « أنا بخير .. ماذا دهلكما ؟ »

رأيت (سليمان) ينظر لى ثم يجلس فيخلف ريشة عفى ويفتح زرين ، ثم قال :

- « لا أعرف السبب لكلك شاحب تعامسا والعرق ينهمر على جبينك .. »

- « هذا كلام فارغ .. أنا خبير بالنبوءات القلبية .. لا أشعر بأى شيء .. »

ونهضت لأبرهن لهما على أننى بخير ، لكنى شعرت بأن ساقى تتخلجان على ورأسى بدور .. هذا الإحساس بأن روحى تتسرب منى .. ماذا يحدث ؟ هل أصيبت بداء السكرى ضمن

روايت مصرية للجيب .. ما وراء الظهيرة ١٦٩

قائمة أمراضى ؟ هكذا استرخيت على المقعد وسمعت نلتنى بأن يرش وجهى ببعض الماء ..

قال (مختار) وهو يسب ويلعن :

- « لا تمت هنا فى بيتى .. أرجوك .. »

- « مسألول .. لكن أؤكد لك أننى بخير .. »

وهنا تذكرت .. كم أنا أحمق .. لقد ابتلعت دواء الضغط مرتين .. مرة قبل التجربة ومرة بعدها وهو الخطأ الأكثر شيوعا لدى مرضى الضغط .. لا اعتقد أن هذا سيقتلى لئله مزعج بما يكفى .. هذه حلة تخفاض حاد فى ضغط الدم .. ربما لو تناولت بعض أسواق والتخللات .. لا بأس بقهوة مركزة .. لا اعتقد أننى بحاجة إلى محاليل أو هيدروكورتيزون ..

هكذا وضعت الزوجة العذورة أمامى طبقا مثيبا باللفت المخلل الذى تجيد صنعه مع قشع من قهوة مركزة ، بينما رقدت على الأريكة لأبلى رأسى منخلضنا ..

قال (مختار) وهو يدين عمية هائلة من اللفت لى لى :

- « كل .. كل .. »

قلت وأنا لو شك على الاختصاص لأنتسب لا أستطيع الإتهام
وأنا رافد :

- « توقف إليس إلى هذا الحد .. نكد حدث هذا الخطأ
مع مرتين من قبل ولم أمت »

- « إن لماذا لا تكون أكثر حنرا ؟ ألا تجد شيئا أفضل
لنفسك غير أن تموت في بيوت الآخرين وتكذبهم ؟ »

بدأت شعر بتحسنت فتهنئت معاً أن وقت الرحيل قد حان ،
لكن الزوجة قسمت أغظت تقسم أنني سأبيت ليلتي هنا .. لن
يطعنوا على إذا كنت لسيارة أو عت لداري لألم وحيداً ..

- « لكن على أن لوصل (سليما) ... »

صاح (سليمان) في لرحبة أنه لن يقبل ذلك .. سوف
يتصرف أضح في المعادى ولما في مجاهل أفريقيا أو
غلبت لتأجبا .. وتهض على شور طائبا الإبن في الانصراف ..
سوف يلبي غداً بسيارة لينقل كل ممتلكاته حتى جلبها اليوم ..

قلت له وأنا رافد أنهم التفت :

- « لماذا لا تتركها بعض الوقت ؟ اعتقد أننا قد نحتاج
ندوة ثانية .. »

صاح (مختار) :

- « مستحيل .. لقد تحول لبيت إلى ستوديو تلفزيوني ..
مئات الأسلاك والمصليح .. لو كان هناك شيخ هنا قلنا
أنقذ لرويته يتحرك وسط كل هذا دون أن يكسر رجله .. »

هكذا انصرف القتي على وعد بالتفكير ، ويرغم أنني
تحسنت فعلاً مع الوقت فلك أصر (مختار) على أن لبيت ..
كان كتعاضلة فلم أستطع الاعتراض ...

هذا هو التفسير إن لكونك تترى رافداً في هذه الحجرة
بالبطاق الأرضي من لقيلا ليس منامة من منامات (مختار)
التي أصبح فيها سباحة .. أحتاج أربع ساعة كي أعرف أين
أراعي ، ثم ربع ساعة حتى أعرف من أين تخرج .. هذه
المنامة بها ٥٦ فتحة تصلح كل منها كماً .. ثم أجد أنني
نسيت ما كنت أريد عمله بهذه الأراج .

لم أحب العكان وكنت أشتكي فراشي .. لكنني قدرت أنها
ليلة ستمر سريعاً .. إنها ثلاثة صباحاً بالفترة قلم يبق إلا
أن أتحمل أربع ساعات أخرى ..

كان لطلب الوحيد الذي طلبته هو أن أأخذ تصميم لقيلا معي
إلى لرحتي .. أريد أن أسهر عليه لأنني أعتك على الإلهام الذي
يلقي في ساعة مبكرة من الفجر .. سأفهم كل شيء فجأة ..

لقد أرغمتني الزوجة على التهام طن من المخللات وجالوتك من القهوة السوداء .. هذه الأميرة تتصرف بطريقة (تكن أو لا شيء) .. إما أن أموت بهبوط الضغط أو أسوت بارتفاعه .. وقد بذت فرحة معنسى تصحو متسائلة عن ذلك المخبول الذي يضع فوقها كن هذا الثلث المخل في هذه الساعة .. الأدم الحارق يبدأ في فم معنسى .. فرحتي تضرب كفا بكف تشكو حالها إذ اضطرت لتحلل لزوات مجنون مثلنى .. « حتى الضباع لا تأكل المخللات في ساعة كهذه .. »

بمبب الأدم الشديد جئت متريفا في الفراش في الضلام ورحت أفكر

هناك شيء ما شديد الوضوح في هذه القصة لكننى لا أعرفه ..

الإجابة قريبة جداً .. كنتنى في امتحان شغوى أتمنى أن يلفظ لى الممتحن أول حرف كى أطلق ..

لكن .. أين هذا الممتحن ؟

٤

.. قتل في بيت الأشباح .. وسوف تهديك الأرقام ..

.. قتل في بيت الأشباح .. وسوف تهديك الأرقام ..

من صاحب الوجه الذى رأيته في المرأة ؟ كنت أتمنى أن أتهم نفسى بالهستيريا لكن الفتاة رأت نفس الوجه ووصلته بنقطة ..

كيف تهدينى الأرقام ؟ هل يمكن أن أتبعها على اللوحة مثل تلك الأنفاس التى تملأ المجلات ؟ تتبع الأرقام بقلمك تتعرف لشكل الذى رسمه الرسام .. أعتقد أن الأشباح ليست راقية لعزاج لهذا الحد ، ولن تهدينى الشترام عام كامل في مجلة (بيمبس) مع نشر صورتى ..

ما محتوى هذه القتيبة ؟

أضأت المصباح جوار لفراش .. وعدت أنظر إلى اللوحة .. ثم مددت يدي أنتزع خلفها من الناحية الأخرى .. أى أننى فعلت ما فعله (سليمان) تقريبا لكن من الجهة التى لم يحاول مزعها ..

بالفعل هناك شيء ..

خرجت يد بورقة مطوية ففتحتها وكتبى برتجف بين الضلوع.

وجدت فيها أبيات شعر مأثوفة تقول :

« نضى الغملا وكنا فى ربها .. ونصب عنها .. واخطى لا يندثر
من لىسا يمشى الألى جساوا بها .. من يمشى على ملاين البشر
واسمع صرير الريح تكبى حولا .. واسمع صدى الأشباح صوى فى مقر
تلك النواج الحضر ما تكلمت بها .. إلا كما الريحان يسطك السمر
تفس الأبيات السخيفة .. هذا الرجل كان يصير على أنه
عبرى وأن هذه درة يجب أن تضعها فى كل مكان ..
ثم توقفت وقد هبط على الجواب فجأة .. هذه رسالة ..
رسالة واضحة جداً ..

بيت الأشباح لم يكن بيتاً تسكنه الأشباح ، بل كان بيتاً
فى قصيدة !
بعبارة أخرى .. بيت الأشباح هو بيت الشعر الذى يتكلم
عن الأشباح !

فاسمع صرير الريح تكبى حولا

واسمع صدى الأشباح تعوى فى مقر

لا لرى شوقاً غريباً هنا .. وفكلم لا يوحى بشيء .. لا يمكن
قراءته بالمقلوب ، ولا يمتلئ بكلمات غامضة موحية مثل
(بئر الحياة) و (ثمانون عاماً) فتعرف أن الكثر على بعد
ثمانين خطوة من الممر ..

رحت أحرك الورقة على أمل أن يتضح الحل فجأة كما
حدث مع بطل (رحلة إلى مركز الأرض) .. لقد حرك الورقة
التي كتبت بحروف رونية Runic فإذا به يدرك أنها تقرأ
بالمقلوب .. وهكذا عرف سر (يوكول ستيفل) الذى يقوده
إلى مركز الأرض ، كما فعل الرحالة الأيسلندى ..

لكن لا .. هذه الحيلة لا تجدى هنا ..

ثم خطرت لى فكرة مجنونة ..

.. سوف تهديك الأرقام ..

هذا ما قاله لى .. ماذا يعنى ؟

هناك نوع مهم من قرون العرخين اسمه صلب الأرقام .. إنه
جزء مهم من (كلابلا) .. لاحظ أن هناك كتب (كلابلا) هنا ،
ومعنى هذا أن ملك اللبلا كان يعرف هذا النوع من الصلب ..

بما أن الحروف العربية تقابل الحروف العبرية ، يمكننا أن نقسم الأبجدية كما يلي :

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
ز	ر	خ	ح	ج	ث	ت	ب	أ
ع	ظ	ط	ض	ص	ش	س	ذ	ر
و	هـ	ن	م	ل	ك	ق	ف	غ
								ي

السطر الأول من بيت الشعر يقول :

فاسمع صرير الريح تهلك حولنا

وبتحويلها نحصل على : $٥ + ٩ + ٦ + ٣ + ١ + ٢ =$

$٤ + ٢ + ٣ + ٦ + ١ + ١ + ٥ + ١ + ١ + ١ +$

$٨١ = ١ - ٧ - ٥ - ٩ + ٦ + ١ +$

لكن يجب الحصول على رقم مفرد .. لذا يجب جمع رقمي الناتج فنحصل على ٩ ..

السطر الثاني يقول :

واسمع سدى الأشباح تعوى في مقرو

وبتحويلها نحصل على : $+ ٥ - ٩ + ٦ + ٣ + ١ + ٩ =$

$+ ٩ + ٣ + ٦ + ١ + ١ + ٤ - ١ + ٥ - ١ + ١ + ٨$

$٩٤ = ١ + ٣ + ٣ + ١ + ٢ + ١ + ٩$

روايات مصرية تلجيب .. ما وراء الطبيعة ١٧٧

يجمع هاتين النتيجتين فنحصل على ١٢ .. هذه يجب جمعها من جديد للحصول على ٤ ..

إن السطر الأول قيمته العددية ٩ وهو - حسب مفهوم الأرقام التنقيدي - رقم للتوازن العقلي والذكاء .. السطر الثاني قيمته ٤ وهو رقم يدل على قوة لتحمل والتغلب والاعتدال .. حسب (الكابالا) هناك رقم لكل شخص وهذا الرقم يحفظ في تعويذة : وله أهمية خاصة بالتسمية لهذا الشخص .. معظم الدجالين والمشعوذين يستعملون هذا الأسلوب ، لكن أهم من درسونه ساحر يدعى (أجريبيا Agrippa) .. الحقيقة أن تخطيط هذه الطريقة واضح ، لأن رقم (رفعت) يختلف عن رقم (رفعت إسماعيل) مع أنهما نفس الشخص ، فأى الرقمين نأخذ مأخذ الجد ؟

لكن هذا ليس ما لبحث عنه .. لنا لبحث عن شفرة لا عن نوع من السحر ..

رفعت اللوحة في لهفة ووضعتها على الفرائش ..

أين رقم ٢٩ هو ذا ! إنه في العلبة .. هناك عدة أرقام لكن رقم ٩ يلفت رسم على الجدار الذي قام (سليمان) بحفره منذ ساعات !

راح قلبى يتوثب فى صدرى .. إنى لسا أتحرك فى الاتجاه
الصحيح .. بيت الشعر فاضى إلى الفتحة فى الجدار ولو لمقتت
لهذا لما احتجت إلى كل هذه الحيل الكهربية ..

لكن أين رقم 4 ؟

رحت ألقب بهصبعى وفى النهاية توقفت عند القبر !
بالذات فى نقطة على الأرض جوار جداره

لقبر هو المكان الآخر الذى يجب البحث فيه .. كنت أسمع
بهذا منذ بداية لكن ألعاب (سلا) الكهربائية ثم تنفرتنى بذلك ..

نظرت إلى الساعة .. إنها أربعة صليحا .. لا أستطيع الانتظار
حتى تشرق الشمس ثم ألقى بن أجناف بالظهور كالصق أمام
(مختار) وزوجته لو كنت واعيا .. لسبب الأهم هو أن القرحة
تؤلمنى .. لا أريد أن لأضئ الساعات منفردة مع هذا الأكم ..

ثم لا أقول إلى ذلك وأجرب بنفسى ؟

هناك احتمال لا بأس به أن يكون معقفا .. لا بد من غلق
القبور كي لا تتسرب الحشرات والفلان .. أنا لا أملك هبوا لكنى
أعتقد أن الأمر كذلك ..

على كل حال لماذا لا أركبى شياى وأجرب ؟

= 0 =

كانت الليلا خالية مظلمة .. لمقت تلك الأضواء الخافتة
المساهرة ..

عد نهاية العمر خطر لى أن ما لعله لا يخلو من لغة تهذيب ..
ليس من حقى أن أجول فى هذه الليلا من دون إن أصحابها ..
ولو شعر بى (مختار) بجن جنونه أو شك فى لمرى ..

لكن هذا كان أقوى منى .. لولا القبر قريب جدًا منى ..
إن (مختار) وأسرته فى تطبيق الشئى ولن أعجبهم ..
ثالثا كنت بالقدس لجن شوقا ثروية القبر .. أين هذا المكان
الذى فلتنا أن نفحصه والذى تحدث عنه القصيدة ؟ لن
أنتظر حتى تصبح لأعرف إن كنت الحرف أم لا .. ثالثا :
من حقى أن ألقى حاجتى فى الليل ، ومن حقى أن أتوضأ
لأن صلاة المجر دائية .. وأنا لا أعرف مكان الحمامات فى
هذا الطابق .. إن من حقى التلم أن أستكشف المكان ..

لن يكون هناك ضوء لكن الأمر سهل .. الشموع هى
أكثر شئ يمكن أن تجده هذه الليلة .. شموع (سليمان)
فى كل مكان .. التفتت واحدة منها وأشعتها .. لاحظت أننى
كنت أعمى متوكئا على العكاز واللوحه تحت إيطى مما جعل

حركتي مقيدة فعلاً .. لكنني لم أرد أن اضطر للعودة إلى
غرفتي لأعرف تفصيلاً ما من اللوحة ..

نزلت الدرجات التي تقود إلى القبو وبعد لحظات كنت
هناك .. إن الباب مفتوح لا كما توقعت ..

أشقى طريقى وسط المظلمات الكثيرة .. أريح المقعد
المحترك .. أنظر إلى الأرضية على ضوء الشمعة ..

خاب لى لأن الأرضية كانت عبارة عن طبقة من الأسمنت
بينها صيت مؤخراً .. لا شيء .. لقطة التي كنت أعلم بأن
أجدها والتي تطابق رقم ٤ على اللوحة لا وجود لها أو على
تحت الأسمنت ..

من الممكن أن تجلب عدلاً يحلزون الأرض بالقنوس
لكن (مختار) لن يتحسس بهذا الحد ..

(هذا المكان كريمة فعلاً .. لا أعرف السبب لكنه يحمل
طاقة مقيدة) ..

عنت ألتخص اللوحة في ضوء الشمعة ..

رايت خطأ باهتاً واضح أنه رسم باليد .. بقلم رصاص باهت
حق لونه .. هذا الخط يتجه من الخارج .. من جزء في الحقيقة
يحمل رقم ٢٢ إلى البقعة المحددة برقم ٤ .. ويبدو كأنه يمر
تحتها ..

هذا احتمال غريب واه لكن يمكن التفكير فيه .. لو أردت
أن تلهم الأمر بصورة تخضع فلتفترض أن هناك معزاً رأسياً
يبدأ من البقعة رقم ٤ ويقود لأسفل .. في الوقت ذاته هناك
معز منحدر يبدأ من موضع معين في الحقيقة هو ٢٢ ويتقاطع
مع المعز الرأسى .. حرف ٧ مشوه غريب الشكل ..

إن يمكنني أن أذهب إلى حديقة القلعة .. يمكنني بشيء من
تجهيز بلوغ ذات الموضع من دون أن أحتاج إلى حفر القبو ..
والكتب ؟

لا أعرف أنه سيصحو لي في الساعة الأخرى من الحقيقة
مقيداً إلى ذلك الحبل الجرار .. بشيء من الحيلة لن يعلأ
أنتها نباحاً ..

وضعت اللوحة تحت إبطى والشمعة في يدي واستندت
إلى العكاز ..

وبهذه رحت أسمع في الدرج .. إن هي إلا نظرة واحدة
أطمئن بعدها ..

وجهت إلى باب قليلاً لأفتح وأخرج إلى الحقيقة .. لكن ..
وجدته موصداً ..

(مختار) لم ينس قبل النوم أن يحكم إقفال الباب من
الداخل بعدة مفاتيح .. وبالطبع ليست المفاتيح في أكلتها ..

قتهت قصة عند هذا الحد .. ثم بعد يومين لن أخرج من الليلا قبل أن يصحو (مختلر) ..

عنى كل حال أعقد أنها كانت مغامرة خيالية لا يقر عجزون تنوى كخاله - ويحمل شمعاً و لوحة - عنى القيام بها .. استكشاف قاع جب فى الظلام الدامس .. دعه من احتمال أن أتلقى فيدي عتقى أو لوى كخالى لتسلم .. ومن احتمال أن يصحو لكذب فيوظف لحنى بكلمه ..

وجدت الحمام فكدت بما كنت أوعى أننى أريد القيام به .. كان هذا نوعاً من إلهاء الضمير أمام نفسى .. لا يكونن أحد بعد الآن ألى كنت أسبل بغرض الاستكشاف ..

وسرعان ما عدت لفرقتى ، بيتك ظلام الليل لم يعد أسود .. صار رمادياً ...

(الصباح رياح) كما يقولون ..

فقط فليصمت هذا الأكم الى معننى لحظة ..

- « يا (ماري العموية) .. أنا هكتك اظلك ا »

كان اليوم الثالى مزيجاً .. فى البداية أرسل (سليمان) سيارة تسيرو أجهزته المعقدة ، ثم جلست مع (مختلر) لشرح له ما توصلت إليه ..

فلن فى غيظ :

- « طريقة غبية فى التفكير .. لو كان يريد أن يوصل رسالة لجعلها واضحة .. كم من قتل يعرفون طريقة الأرقام هذه ؟ »

كنت فى كبرياء :

- « هو لا يريد أن تصل إلا لمن يعرف هذه الأمور .. يلتصق كل ينتظر ملاحاً أو شخصاً يهتم لى تسحر .. تسؤل الحقيقى هو : لماذا يريد منا أن نصل للقلبية وفحة القيو ؟ ما هى الرسالة ؟ أن نعرف إلا بالنزول إلى هناك .. »

- « أما هذا فلا .. نل نمر القيو كما دمرت العلية .. »

عدت لسأله :

- « ما زلتا نهض عن الإجابة وأرى أنه يجب أن نتصل بفريق (كامل القبراوى) لتقيم فى كندا .. هل لديك رقم هاتفه ؟ »

- « لا .. لكن عندى عنوانه .. ربما لو استعملنا الهاتف السريع أمكننا أن نتلقى ردّاً سريعاً .. »

هكذا جئنا نكتب صيغة الرسالة .. كان خط (مفكر) أفضل
لذا تولى هو الكتابة بينما توليت الإملاء .. سألته في البداية
صا إلا كان للفنى يجيد العربية ، فقال إنه يتكلمها كأحد
المستشرقين لكنه يفرضها جيذا .. هكذا رحلت ألقى عليه :

« الأستاذ الكريم / هاني الهدراوي :

« تحية طيبة وبعد ..

« في الحقيقة أجد صعوبة في شرح مشكلة فنى توليها
هذا ، لكن لنقل إن حياة ليلتي الوحيدة تتوقف على إجابتك
بصدق .. نحن نعتقد أن هناك سرا رهينا يختلى وراء ليلنا
عك بالمعادى ، ونرغب بشدة في معرفة أية تفاصيل غابت
عنا من قبل ، لأن أى تحرك لنا موقوف يعتمد على معلوماتك ..

« هناك أسئلة مهمة .. مثلاً لماذا يخفى عك آتية صغيرة
في العتية ؟ لماذا قلم يصبب لفرساة في لقبو ؟ هل يلبس الفيل
لوق شيء آخر مثل مقبرة أو شيء مغلل ؟ هل سمعت شيئاً
عليها وأنت في الخارج ؟

« ما هي ظروف وفاة عك ؟

« مع جزيل الشكر ..

« مختار نجيب المحامس »

وثأكلنا من إرسل الخطاب بالبريد السريع .. فقط فلنأكل
أن يكون الفنى مهذباً ويهتم بنا ..

الآن حان الوقت كي أعود لدارى وأخى بحياتى قليلاً ..
أشعر أنى في هذه المشكلة منذ قرون .. لكنى طلبت من
(مفكر) عنوان لخدام العجوز (سلامة) الذى اعتك أنه
ما زال حياً .. من يعرف أسرار (كامل) أكثر من الظاهرى
لعجوز الذى ظل معه أكثر من ربع قرن ؟

« هذا سهل .. إنه فى (خاصيت) .. غريبة .. »

« جميل .. أين فى (خاصيت) ؟ »

« كيف لى أن أعرف ؟ إذهب إلى كنتك واسأل .. »

وهو حن ثم يبد لى مقتعاً ..

بعد أسبوع وصل طرد مكتنز من كندا .. كان يحوى
رسالة مقتضبة ورزمة من الخطابات ..

وانفتحت أبواب التحميم علينا ..

- ٦ -

كان الخطاب المغتضب من الفتى نفسه ، وهو من الطراز
الودود المحب للبشر كما هو واضح .

« مختار نجيب :

« لا أعرف الكثير عن لحيلا سوى هذه الخطبات . وشئى
كان يعتقد أن عمى قد جن وأن علينا أن نقطع علاقتنا به .
فقط أوصيتى بأن أعود لمصر لأبيع لحيلا بأسرع ما يمكن
لأنه يتشامم منها . يمكنك الاحتفاظ بالخطبات فهي لا تهمنا
فى شئ » ، ولرجو عدم الاتصال بى ثانية لأنى لن أعود .

« مهنتى هاتى البدرائى »

جن جنون (مختار) من لهجة الخطاب .. شئ لا تحوى
أية عذارة سب ، لكنها فى حد ذاتها سية .. ذلك من حذف
أى لقب قبل اسمه كذا ..

« كفى لى مع فى الحارة .. »

فتحت المظروف الكبير فوجدت كيسا من البلاستيك
يحوى مجموعة كبيرة من الخطبات كلها (كامل
البدرائى) أخيه .. واضح أنه كان يمارس نوعا من

روايت مصرية للحب .. ما وراء الطبيعة ١٨٧

العرف المعنود أو الموثولوج المطول ، لأن نهجة الخطبات
لا توحى بأى تقاعل .. لم يكن هناك من يرد عليه على
الإطلاق .. فرع الأسرة المقيم وحده فى مصر والذى بدأ
بهذه ..

بهذه ؟ كنت أملك من القدرة ما يقول شئ بوضوح إن
هذه الخطبات صادقة .. أعرف أنها صادقة ..

هكذا قضينا لساعات تطالع هذه الخطبات .. جو عام
من الشؤم والانقباض خيم علينا .. وكان (مختار) يتكلم
كل بضع دقائق بأن يصيح :

« غير معقول .. »

فأنتكفى بأن أقول :

« بل هو معقول جدا .. »

فى النهاية هتف (مختار) وهو يلهث ويريح ظهره إلى
مقعد المكتب ليتنفس فى السقف :

« يا للهول !! ما هذا الكابوس الذى لشكريته »

« فقط شئ لا تراه على ببراعتك فى التفاصيل الصغريات ..

لنت أيضا تشرب مغالب لا بأس بها »

ثم بدأت أرتب أفكاري كالتالي :

أولاً : هذا البيت بنى فوق ممر يقود إلى مقبرة فخفتها تلك الكائنات للحياة .. وطى الأرجح هناك خاتم سلق لها هو الذي بنى هذه المعركة .. أعتقد أن كرسنة قتي صبيها (كامل) هي السبب في أن موجات (تسلا) لم تشعر بشيء غريب في تلكو ..
ثانياً : علاقة معقدة مثلومة تكونت بين (كامل) وتلك الكائنات ..

ثالثاً : هو ذارف خطأ مريعاً حينما سرقت تلك القنبلة .. وعجز عن إرجاعها ..

رابعاً : كانت طريقته في تصحيح الخطأ هي ترك هذه الشفرة لمن يتوون بعده ، وقد أن أحدهم سرقها عن حلها وهو بالتالي يستحق المعرفة ..

خامساً : يبدو أن الطاقة النفسية لـ (كامل) - وإن أقول شبهة - فلكة وموجودة في هذه القنبلة وهذا يفسر الوجه المشوه الذي رأيته و(رالية) والذي أعطاني معلومات قيمة .. لا بد أنه وجه (كامل) بعد ما عطف ..

سادساً : يقتلي نحن نعرف يقيناً أن (كامل) يد من «رجع القنبلة تلك تكفلات .. يعتقد أن هذا سيزيح الاتهام عن أهله ..

مسلماً : يمكن القول إن ما حدث لـ (رالية) هو نتيجة تشاؤم الطاقة النفسية لـ (كامل) .. للقناة حساسة ولم تتحمل هذا الشعور المعض ، ونزل الغيبوبة الهستيرية قتي طالت نوع من الفرار من وقع مخيف .. هذا يميز الشغل الهستيري عادة في نفس هشة .. ويعني على الأرجح أن إرجاع القنبلة سيجعل (رالية) تلقى لأنه سيزيح عنها ضغطاً نفسياً هائلاً ..

ثانياً : لن نعرف أبداً سبب تحريك الأشياء هنا .. أنا أقدر أنها طاقة التحريك عن بعد لدى (رالية) قتي تحركات يسبب هذا الضغط لتفسي المخيف ، بينما قد يرى الآخرون أنها نموذج نظاهرة (بولتر جليشت) ..

كان هذا هو ملخص الموقف .. لا أعرف السبب لكنني أشعر براحة باقعة عندما أفعل هذا وعندما تتحول أفكاري المضطربة الذاتية إلى نقاط على الورق .. في ألام الدراسة كنت أضع جداول محكمة جداً على الورق كنتج لي مراجعة تمنهج عدة مرات ، ثم أشعر بالراحة وأتني لست في مزق كما أتصور .. هكذا أحلل لسبعين وبهذهما أكتشف نفسي في مزق جديد ، ويكون على وضع جدول آخر !

قلت لـ (مختار) ولما أرتب :

- « تصور قتي في تلك الليلة السوداء كنت مسأؤل إلى لقبو وحدي ؟ هذه شجاعة للجهل ! »

قال غري ديشة :

« أنت كنت ستنزول القبر وحتك ؟ »

« هذه قصة طويلة .. تم يتقضى إلا أنك أغلقت باب الخيال بإحكام من الداخل .. »

ثم ساد صمت عميق ..

قلت وأنا أنظر فى عيني (مختار) :

« الآن علينا أن نتحرك على ثلاثة محاور .. المحور الأول هو أخذ لمدام ولينك و (رقية) إلى بيت تقنيق فى (إسبانية) .. ثمة احتمال لا بأس به أن يخف الضغط النفسى على (رقية) فتلق .. لو أن الموضوع يتعلق بطاقة الحسية ، فهى محدودة بالمكان ويمكن الابتعاد عنها .. »

فكر قليلاً وراح يداعب قلبي زلبركينا يضع دقاتي .. ثم قال :

« انشفة هناك خراب تتفق فيه اليوم ومن الصعب أن أفرشها من جديد .. يمكن أن أخذ لقناة لتقنيق عند خالتها .. ومذا عن المحور الثانى يا أخ (روميل) ؟ »

« المحور الثانى هو أن نجد قطامى .. أعتقد أن هذه معلومات لا بأس بها .. مثلاً كيف مات (كامل) ؟ لماذا نرى صورته وتعلن يفتيها ؟ »

« هذا سهل .. والمحور الثالث ؟ »

انثقلت ريقى وقلت :

« المحور الثالث هو أن نرجع هذه القليلة إلى أصحابها ! »

كل هذا جميل ..

لكن هل تتطوع أنت يا عزيزي (رفعت) لهذه المهمة ؟!!!!
يا سلام .. ولماذا لا تتطوع أنت ؟ لاحظ أن كاشحك مسلم ،
والأمر يتعلق بسلامة أهلك ..

إن الخطرات أوسعنا وكلمات الرجل لا تقبل للتبر .. تخيل
أن تنزل نهم وأنت تتوقع ما قد تجده .. إن هذا يحتاج
لأعصاب غير عادية ، ذلك من أنها مخاطرة لا شك فيها ..

لم تكن زحلتنا إلى (حارصيت) سهلة .. تطلقنا إلى طنطا
بسيارة (مختار) ومنها إلى تلك القرية الكبيرة الأقرب إلى
مركز ..

إلا أننا وصلنا عند الظهيرة .. وقد سألنا عدداً لا بأس به
من الأشخاص عن المذعو (سلامة عزب) .. هذه من
تخصص المهمة للتفرات الديموجرافية في قرية المصرية ..
في المنفى كان يكفى أن تسأل أى طفل يلعب كى يفتك هناك ،
أما قرية اليوم فلم يعد أحد يعرف الآخر .. هي كالمدينة لو

روايات مصرية شجيب .. ما وراء الطبيعة ١٩٣

أسوأ .. هذا أصعب كثيراً جداً وفى كل مرة نحكى القصة
كاملة .. أعطى لنا نبعث عن (سلامة) الذى كان طاهياً
لدى أحد الأعيان المسلمين ويدعى (كامل البدروى) ..

أفقط بقتل شاب ينقل صندوق القوق لمقوى القليلة بعذب
التيغ تذكر أن هناك (سلامة عزب) .. كل أسيرة (عزب)
تسكن فى هذا الشارع جور حامود لتور ..

كان هذا بيتاً من طوب الأحمر بذلك على أن لحد أينائه
سافر للعراق فى فترة ثرائه .. وكان هناك باب خشبي عملاق
نقلناه فخرج لنا صبي مذخور .. ثم امرأة مذعورة .. ثم
شاب قلق نلدى رجلاً متوتراً ..

فى النهاية قدولونا إلى غرفة صالون من الطراز الذى
ترتفع فيه الأرائك مزين عن الأرض ، حتى لنجد أنك تتألف
كى لا تسلط على ركبك .. كانت هناك مبرقية وعدة شاي
جاهزة ، وسرعان ما راح لرجل بعد الشاي لنا وهو يحاول
فهم ما تريد .. بينما من خارج الغرفة نسمع الأطفال
يتساحلون ويناديون :

- « مبدى (بكسر الميم) .. رجلاً من مصر يريدك » -

أخيراً دخل (سلامة) القرفة ..

لم أرى حتى شيئاً بلغ منه انكبر هذا المبلغ .. كنت
أسمع عن أرذل العمر تكفى ثم لتصوره من قبل .. جئته
بشبه ورقة قام إيمان بمضغها ثم بصقها .. كان شبه كليف
يتحسن طريقه بعضاً غليظة وقد ألقى علينا السلام ثم تربع
على الأرض المقعدة بالحصير .. ورأيت تلك التجاعيد
للمحيطه بفسه والتي تشبه الأكياس (المسككة) .. علامة
لا تخفى على الربو المزمن ..

« يقولون إنكم تهتئون على .. »

قال (مختار) في كياسة المحامي الخبير :

« كنا قلقين عليك وأسعدنا أن نعرف أنك بخير واتحد
لله .. »

« نعمتوه .. »

ثم سلا صممت ثقيل قطعه بأن صاح ينادى الرجل الذي
تضح أنه الله أكبر :

« هات سيجارة يا (زكريا) .. »

وهي معجزة أخرى .. أعتقد أنه لو جذب ثلثاً واحداً من
لنحسان لمسات أماننا .. لكن (زكريا) أخرج لناقصة تبغ
ووضعها بين شفتيه ، ونسها في لهب المبرقية ثم ناولها

لأبيه .. فسحب منها نفساً تهماً طويلاً وألقى بالرماء على
الحصيرة ..

قال (مختار) يتفنن الكياسة :

« هـكـ ذلك رجل من الأعيان كنت تعمل عنده .. اسمه
(كامل قيدرولى) .. أنا الذى ابتعت القليل الخاصة به من
أبن لأبيه (هـمى) .. نحن لم نتلق لكفى سمعت عنك
الكثير .. هناك أسئلة عدة أريد سؤاها .. »

بدأ على الرجل أنه يفكر .. كنت ترى تحت وجهه يطل
من بين خيوط دخان السيجارة كلته طوطم هدى اشعلت
تحتة لتيران .. ثم قال دون أن ينظر لنا :

« (كامل قيدرولى) ؟ هل قلت إن اسمه (كامل قيدرولى) ؟
لا أعرفه .. »

قلت وأنا أسمع بأبنى مسأون غيضاً :

« كنت طاهياً لديه وقد ظلمت مختصاً له أربعين عاماً
أو أكثر .. هو استقر في الفيلا عام ١٩٥٩ .. وكنت أنت
معه من قبلها .. لا بد أن علاقتكما تجاوزت أربعين عاماً ..
وأنت من أشرف على دفنه .. »

قال من جديد بذلك الوجه المغلق :

« لا أعرفه .. »

تبادلنا النظرات .. إسا أن هذا الحرف الشيفوخة أو هو
قرر أن ينسى هذه الحقيبة من حياته .. هكذا نهضنا في كثير
من المخرج ووضعنا أكواب الشاي على الصليبية ، وقيل
(مختار)

« إن سمح لنا بالرحيل .. فلا بد أن هناك سوء فهم .. »

- ٨ -

قل (زكريا) الآن الذي بدأ القرب لتفاهم :

« سوف لتساو لنغداء مغا .. لنما قطعنا مشواراً
طويلاً .. »

« شكراً .. لقد انتهت مهمتنا .. »

واتجهنا للباب لتركب السيارة التي جلس فوقها نحو
٣٦٥٩٦٨٥٢ ظلاً .. فصاح بهم (زكريا) والنقط قلب
طوب يهدد بقذفه عليهم ، من ثم تفرقوا في كل صوب في
نون .. ثم قل لنا همماً وهو ينظر إلى الخلف :

« معثرة .. به أرذل العمر كما تعرفان .. تكن تلك
لفترة سيئة بالنسبة له .. »

قل (مختار) وهو يضع نظارته الشمسية التي تعطيه
سعت رجاء المخبرات الخطير :

« أعتقد أنه لا يريد الكلام .. هو لم ينس شيئاً .. »

قل (زكريا) بطريقته الودود لمولة للاعتذار ، وبنوع
من الهمس المخرج :

« إنه مرقى .. أحياناً يحكى لنا هلاوس عن عقاريت كانت تعيش تحت الليل .. يقول إن سيده (كمال) تعطن فى ليلة واحدة وابن الطبيب لم يصدق أن هذا كله تم فى ليلة .. أحياناً يقول إنه كان دائماً تلك العقاريت وأنه كان يخدم سيده لينزل لها ويلبس طلبتها .. ويقول إن السخريه الكبرى هى إن سيده عندما مات دفن معها ! طبعا نحن نسمع هذا الكلام بلان ونخرجه من أذن .. هذه من لا للوم صاحبها عسى ما يكون .. فقط أردت أن أعترف لكما .. ليس أبسى فظا .. فقط هى قسن .. »

قل (مختار) وهو ينتلج عواطفه :

« افكرنا نحن فى هذه السن لو عشنا .. سلكون كالقطار الاصفر .. »

سألت (زكريا) فى فضول :

« هل كان يقول أشياء أخرى عن هذه العقاريت ؟ »

قل بلسمئاع بجمع بين السخريه والشعور بالأهمية :

« الكثير .. لم يكن يكلم إلا عنها حتى تصحبه أن يتوقف حتى لا تسوء سمعتها هنا .. مثلاً كان يقول إنه كان يذللها وهو يمشى للخلف .. ويقول إنه لم يكن يرفع عينيه نحوها قط .. وبهذا كان يضمن ألا تفكك به .. »

ثم حك رأسه وقال :

« إنه يكن كثيراً جداً .. يقول إنه لركب من الأكام ما يعجز شغل عن تصويره ، لذا يطلب منا أن ندع له بخرمة .. »
« فليرحمنا الله جميعاً .. »

وتطلقا بعمارة وأنا أحبس أنفسى بينما (مختار) يدور بها الخلف ، و (زكريا) يتب بقليل رحيما وعينا لا تفلقنا ..

لم أستطع الكلام حتى رأيت معالم الطريق السريع من جديد .. لم أتكلم إلا عند (بركة الصبح) أو بعدها .. ثم لتعمل أكثر فالتجرت :

« هل قهمت ما قاله هذا الفتى ؟ القصة تتخذ متخفيات لم تتصورها .. »

قل (زكريا) فى يروء وهو يرثب الطريق :

« إن تأخذ كلام هذا عجوز بجدية .. ياك من حملا ! »

مذهولاً نظرت لأفهم تعاداً يسبتي فتضح أنه يشتم سائق سيارة نصف نقل كانت تصطدم بنا من الخلف .. وأخرج رأسه يصيح فى الرجل الذى سبقنا الآن :

« لقد أخذت ركبك ! وحيتك سوف أريك من أنا ! »

لا وقت لهذه الأعقاب يا (مختار) .. فيما بعد يمكنك أن
تستعرض نفوذك وبراعتك في الشجر .. الآن دعني أتكلم
بلا مقاطعة :

« أنا بالعكس أعتقد تمامًا أن كلام العجوز حقيقي ..
يمكننا أن نرتب الأحداث كما يلي .. هذا العجوز كان على
علم بهذه الكائنات .. ربما منذ اللحظات التي انشأت فيها
(كامل) الأرض وبدا البناء .. أعتقد أنه كذلك كان يعرف
الكبر الذي تعيش فيه .. هل هو الذي بنى تلك الفتحة في
القبو ؟ لمست مشاكدا .. لا شك أنه كان دائم التردد على
العمارة ويكون صداقة معهم وربما استطاع ترتيب صنع هذه
الفتحة معهم .. لكنه قل أن هذا بمسؤول نزع العماء أو أي
شيء من هذا القبيل .. وعاش العجوز مع سيده في
البيت .. تسيّد وجد المقبرة وتعامل مع الكائنات ، وقد
حسب أنه يخدع خادمه ، بينما الخادم كان يخدع سيده ..
أعتقد أن كليهما كان يستعمل الخرافات ليقوم الأخير ..
كان موعد (كامل) هو مساء السبت بينما موعد الخادم
كان يومًا آخر .. ثم تورط (كامل) في موضوع ممرقة
القبيلة والجنطة .. إلخ .. لا شك أن (سلامة) وجد وقتًا
لا يأس به كي يفعل أي شيء يريد في تلك الآونة .. ثم تولى
(كامل) .. ولو صدقنا القصة لفتنا إليه نظن في ليلة واحدة

روايات مصرية لتجيب .. ما وراء الطبيعة ٢٠١

وهي من علامات الاتصال بالشيطان الشهيرة حسب كتب
القرون الوسطى .. »

« وماذا لو لم تصدقها ؟ »

« عندما يكون (سلامة) قتل سيده بأمر من تلك الكائنات !
في جميع الظروف كان (سلامة) هو المسئول عن دفن سيده
الذي لا أظن أنه في مصر .. هنا تولى دفنه في المقبرة
المشعومة بالذات .. كانت هذه أوامر الكائنات .. لا بد أنهم
كثروا يريدون نجدة للتكفل بها .. »

« كيف يمكنه عمل هذا بينما مثير الأسرة معروفة ؟ »

قلت وأنا أجفف عرقى :

« أنت تتحدث عن رجل يمتلك كل المفاتيح وصارت له كل
الصلاحيات .. يمكنه أن يزعم أن التقليد لوصاد بنظفه في هذه
شعيرة بالذات .. يمكنه أن يزعم أن من خال صفة التقليد مطعون
هنا ، ربما لم يفترقا في طفولتهما ولا يجب أن يفترقا بعد
لعمري .. أتمتعون أن التقليد كان يجب أن يخال صفة
بجنون .. »

قال وهو يحدّثني في حركة صعبة :

« لحظة .. أنت تعرف أن (كامل) سد فتحة القبو

بالقرسوة .. كيف يتمكن (سلامة) من القزوز ؟ »

« من جديد الأمر سهل .. هو يعرف كل شيء عن شعور
البديل الذي يبدأ في الحقيقة .. العمر الذي كنت أنزل فيه
بحمالة .. دعك من أنه يعرف المغيرة ويمكنه التسلل لها »

ظل يقود وهو متصلب الوجه .. ثم غمغم :

« ربه ! »

« فعلاً .. القصة شنيعة .. لكن أعتقد أن (سلامة) قد
تاب بعدها .. قرر أن يتحور من هذه الكائنات بعد ما رآه
حل بمسوده .. بالتأكيد لم يتم أن تتعفن جثته في ليلة
واحدة ، أو أن يتفن مع ذات الكائنات الشنيعة .. فهذا تأكيد
من بيع الفيلادورجن إلى قريته حيث تحول إلى مريض
وسواس قهري .. لا تملكه إلا فكرة تلك الكائنات والأيام
الشنيعة التي عاشها معها .. إن الذعر الذي كتّمته فراح
يتكلم ويتكلم والنتيجة أنه لا أحد يصدق حرفاً .. تأثير رعيه
ذكرى تلك الكائنات ، ويثير هلع ما ينتظره من عذاب لأنه
بعد الموت .. إنه إنسان مسكين .. مسكين .. »

وفي صمت ورجبة وصلنا رحلة العودة ..

== ٩ ==

قال (سليمان الخولي) :

« سنزل كما ! »

كان جالساً في نوبس الفيلادورجن وضع قدح الشاي على
مكتبته كعدائه عندما يستعمل يديه للكلام .. بدا لي كأن
(علي مصطفى مشرفة) عند (مختار) يشرب الشاي ..

حككت صلعتي كلما أتت استجلب الأفكار .. وقتت في
هدوء :

« يا بني .. أنت لا تعرف عن أي شيء نتكلم .. »

قال (مختار) وقد اتسعت عيناه :

« دعه يا (رفعت) .. هو ليس طفلاً .. يمكنه أن

يحدد خياراته .. »

صحت في (مختار) وقد لفتت أصابعي :

« كل من لعب دور التاجر الأريب لحظة واحدة ! هذا

الشيء يتحوله من منطلق حماس الشباب ، مع الكثير من

الرغبة في الاستشهاد .. إنه ليس مسئولاً عن لقوله »

قال (سليمان) في ثوب :

« هذا هو بيت القصيد .. الاستشهاد .. أنت رليتني
يا د .. (رقعت) ورليت كيف ابتلعت علة من دواء لسكر دون
أن يعرف شي جفن .. لم تكن حيتي تساوي شيئاً وقتها ، وبدأ لي
أن فعدما لا يختلف عن فدر ريع جنينه .. ليوم أنا أعرف قيمة
حيتي جيداً وسوف أضحي بها في المكان الصحيح .. »
« أنت مجنون .. »

« وأنت مصاب بعلة أبوة نحوي .. »

لذا أصبح .. لك أصاب كبد الحقيقة .. يبدو أنني في
المن اتى أنشئ فيها أن يكون لي ابن في سنه .. ابن
لامع مثله .. هذه هي اللحظة التي أنزلني بقدمها كل الذين
نصحووني بالزواج منذ عشرين عاماً .. ستلدم بعد قوت
الأون .. ستكون بحاجة لابن يصادفك ثم يفض عنيك
ويواريك القبر عندما تموت يائن الله .. كنت أقول لهم إن
أولاد الحلال كثير .. بالتأكد لن يلقوا بهنشي في أقرب
مصرف ..

كنت دائماً ولا أكون أحداً على أي شيء .. فقط أنا أحب
هذا الفتي ..

صاح (مختار) وهو يثب من مكانه :

« كفى يا (رقعت) .. هذا الفتى متحمس وسوف ينجح ..
أهنتك يا بني »

وانقض على الفتى قطار القذح في الهواء ليستقر على
المسجدة وسروال الفتى ..
كثت في غيظ :

« لقد بدأ المرح فعلاً .. »

كنا الآن نقف في الحقيقة .. يبدو أنني كنت مثلاً بصدد
ذلك للكلب الذي اعتكفت أنه لن يشعر بي في تلك الليلة
السوداء .. لقد شعر بي فراح ينجح ويتعلم وينزل على
الحبل الذي يسمح له بالحركة في خط واحد .. لو خرجت
في تلك الليلة للضحنى ..

كنا الآن في الثالثة مساء السبت .. تماماً السبت ؟ لأن
كل شيء حدث هنا حدث في مساء السبت .. كانت تلك هي
ليلة اللقاء بين (كامل) و(أليسون) ومن معه .. اعتكفت أن
هناك سرّاً في ليلة السبت بهم هؤلاء .. على كل حال ،
السبت مهم في طقوس السحر في كل مكان ..

يقف (سليمان) مسمماً كشكاف وفي يده القنبلة .. هناك في الحديقة جوار جدار القبلا عند النقطة التي رأيناها على الخارطة .. البقعة رقم ٣٣ ..

عندما أرحنا العشب قليلاً رأيت تلك الفتحة .. فتحة تذكروني بنوافذ هؤلاء الذين يسكنون تحت الأرض .. يمكنك أن تتلقى نفرة لو لمعت على بطنك ولصقت وجهك بالأرض ..

أرحنا العشب أكثر لرأينا أنها مظلمة بقضبان .. في كل مكان تجد هذه القضبان التي تبعث للتشولم والرهبة .. كذلك تحبس وحوشنا بالدلائل ..

والآن عليك أن تدخل لها !

مد (سليمان) يده فبازع القضبان فاستجابت بسهولة .. شغل الفتحة القهبة .. فأخرج ينظر من يثب فيه .. وبالدلائل لنظام دامن .. كما توقعنا ..

قلت دون أن ألتفت تحقيقاً :

« في الخارج يهجون كثير من الثعابين في هذه الفتحة .. »

صاح (مختار) في عصبية :

« يا أخي لا تؤذوا الرجل رابط الجأش متعسك وفتت نفس النعم في كل كلمة ! »

قلت لـ (سليمان) وأنا أريت على كتفه :

« سوف لن تبع التصالح الأولية التي سمعناها .. بمجرد أن تجد نفسك في التهر سوف تتحرك بظهورك .. ثم تنسى للخلف .. لا ترفع صيكتك أبداً ولا تر أي شيء .. هذا يذكرني بـ (أورفيوس Orpheus) في الأساطير الإغريقية عندما عبر إلى (هيدز Hades) كي يسترد زوجته الميتة ، والتي (بلوتو) كلفه اشتراط عليه ألا يلتفت للخلف أبداً .. كانت غلظته عندما دنا من عالم الأحياء أنه التفت للخلف كي يتأكد من أن زوجته معه .. هكذا فقدنا للأكيد .. فقط أنكروا القنبلة في تقرير ثم عد من حيث جنت .. إن كنت هذه للتصالح قد أجنت مع (سلامة) فلنصف كجدي معك .. »

شعرت به وقد بدأ يتوتر .. لعرق ينعو على جبينه .. هذا طبيعي .. يمكنك أن تنظر شجاعاً حتى هذه اللحظة .. عندما تترك أنت منزل إلى قبر وهناك في ثقل شياطين .. هنا فقط تتساقط : هل تسرعت ؟

قلت وأنا أراجع للخلف :

« تذكر أنك ستعبر معراً لم يقطعه أحد منذ زمن .. اعتقد أن (سلامة) فقط عبره قبل أن يغادر قليلاً .. كن حذراً .. كل ما تحققه من الآيات القرآنية .. »

هز رأسه ثم رجع على ركبتيه .. وبسهولة حشر جسده
التحليل في الفتحة .. وبعد ثوان كان قد توارى .. ليتلصقه
نقطة ٣٣ ..

« يا (ماري القموية) .. أنا قتلت أطفالك ! »

تحنى الحياء وكنت في دريها .. ونقب عنها .. والحظ لا يندثر
من قبلنا بحتى الألى جدها بها .. من بعدنا بقى ملايين البشر

تصف ساعة قد مرت ونحن نقف في الظلام ..
عواء الكلب .. ثبت هذا اللوغد يخرم غيلاً .. هذا له ..
هذا الكلب .. كيف تسبه وهو باللعن كلب ؟

فيه يوتر أعصابى .. يلفظ يوترها .. لا أعرف لماذا ينتج ؟
هل من أجلى لم من أجل ما يحدث بالداخل ؟ من أجل شيء
لا نعرفه ؟ ولو كان كذباً حقيقياً كنتك الكلاب المحترمة في
شربنا لأعطا من هذه العينة .. كان بوسعها أن يحصل القنبلة
بلفسه داخل التلق ويتركها ..

قل (مختار) :

« وبعد ؟ »

« وبعد ماذا ؟ »

« تلخر التوند .. »

كنت أفتنى أن يقول هذا ، فهذا يجعل الأمر رسمياً بينما
لو لم يقتلها لأتت نفسي لفتى عشتري منوكر .. الآن نحن في
مشرق .. إما أن يدخل واحد آخر وتجارف بأن نتسرب الواحد
تلو الآخر في هذا الكلب ، أو نطلب عوناً .. لا لورى ..
رحمت لروح وأجىء في قللى ..

لو صدقنا خطبات (كامل) وأنها لم تكن هلاوس
مجنون ، لكان القسى الآن بولجه أثناع مشاهد يمكن
تخليها .. أرجو أن يتذكر نصيحتى ولا ينظر لشيء .. هذا
يحفظ عليه سلامة العقلى على الأكل ..

فجأة هتف (مختار) وكان لهتافه طابع للتصر ..

وعند قدمي رأيت يدى (سليمان) تبرزان .. ثم وجهه ..
كان قدراً للغة وتصيب عرقاً .. لكنه كان سليماً .. مملق فوجه
لكنه حى ..

جذبه ليخرج ثم جرته بعيداً عن الفتحة ..

جس على العشب يتقط أنفاسه ربهث .. وكان في حال غير طبيعية .. بكل ويتلوى ويهت بل تقطاع حتى حسبت بقله الظنون .. رفعت الكعب عن ساعده وتحسست نبضه .. لا يبدو أن هناك ما يلقى .. لديه الكثير من الأذنين لا أكثر ..

في النهاية سأل (مختار) وقد بدأ يهدأ :

« هل تركت القنينة ؟ »

هز راسه أن نعم ..

« وهل رأيت شيئاً ؟ »

هز راسه أن لا .. ثم تكلم بصوت مهدج :

« شعرت بوجود شيء أو أشياء لكن لم أرفع رأسي قط .. رفقة غريبة هي مزيج من النغم الشطن والتكرير .. كنت أختس في أفضل طريقي .. أختس إلا أعود .. لكن لم يحدث شيء .. »
أسوأ ما حدث لي هو انزعاب .. كان الموقف مضيقاً بحق ..

لا أؤمنه على ذلك ..

لقد انتهيت وأرجعت القنينة التي سرقها (كامل) يومنا ما .. فهل انتهت لمحنة ؟

هل تفريق (رقية) من غيوبتها ؟

جرح الهاتف في اللوى لا يكف عن الترتين ..

لجته (مختار) ورفع السماعة .. أصغى لبعض الوقت ثم قال :

« لا .. كنا في الحديقة .. نعم .. نعم .. ماذا ؟ سأني حلاً !! »

ثم خلف بنا من قبل أن يضع السماعة :

« (رقية) فلتعت عينيها وتكلمت .. (رقية) أفاقت من الغيبوبة !! »

رفقة غريبة هي مزيج من النغم الشطن والتكرير .. كنت أختس في أفضل طريقي .. أختس إلا أعود .. لكن لم يحدث شيء ..

أسوأ ما حدث لي هو انزعاب .. كان الموقف مضيقاً بحق ..

لا أؤمنه على ذلك ..

لقد انتهيت وأرجعت القنينة التي سرقها (كامل) يومنا ما .. فهل انتهت لمحنة ؟

- ١٠ -

كانت المفاجأة مذهلة .. كنت أتوقع شيئاً كهذا لكن ليس بهذه السرعة .. كما قلت اعتقد أنني سيرى الطالع ولا شيء يحدث معي بسهولة أبداً ، ذلك من أنني لا اعتقد أن الحياة (بالها نويل) مهمته أن يلقى بالهدايا لنا .. نلقة هي ليست خطراً دائماً على طريقة (كالكس Karke) و (أبو العلاء المعري) ، لكنها كذلك ليست (بالها نويل) ..

كان الأمر بالنسبة لي واضحاً تماماً .. وقد أهديت شكوكي على الفور :

- « يجب أنها تستوثق من أنها لم تتغير وأنها ليست في قبضة استحوال ما .. »

صاح (مختار) في حلق :

- « لو أنك تكف لحظة واحدة عن لعب دور غراب البين ، للربما وجدت أن الحياة تستحق .. »

هكذا قدمنا في سيرته ونطلقنا نحو (حدائق الزيتون) حيث تقيم خلة الفناء ..

برغم المشوار الساكن لم تنبأ كل كلمة واحدة طيلة الطريق ..

هذا البيت عتوق يوحى بالكفة .. أعترف أن أهلاً المعادى تلك لا تريحني ، وقد قتلت للنفس إن سبب هذا هو عدم القعود ، لكني بالفعل شعرت براحة في ذلك الجو الحميم .. لك صارت قليلاً كالنمل مشلولاً كتيباً .. يبدو أنني سأكتع في قنينة بمنطق أقلام (توجو مزاراحي) الكريمة حينما يلقي الفقير لم يكشف أن حياة الفقير كانت أجمل ، وفي النهاية يعود بيته القديم .. هذا هو منطق اللام صر الباشوات الذي يقول إن الثراء سيرو وقبح ، ومن الأفضل أن لتجبه ولتركه للباشوات .. دعهم يتعبوا ويألموا في ثراتهم ولننعم نحن بالقول والمصيبة .. الغريب أنني لم أعد أجد هذا المنطق سلباً في هذه اللحظة بالذات .. الأثرياء يعيشون في بيوت تسكن تحتها الشياطين فلا تحمدهم يا ساداً !

تسيت أن أقول إننا جئنا (سليمان) معنا .. بشكل ما هو صار من الأسرة .. ولم يجرؤ أحد على طرده بدعوى أن (هذه أمور عائلية) .. ذلك من أنني لنا نفسي لست من الأسرة ، والمنطق الذي يسمح بطرده يسمح بطردي !!

كان مذهولاً صموتاً ولا أقوم .. اعتقد أنه جاء معنا لكنه لو من من أن يعترض ..

وفي الداخل كان المنتظر حميماً فعلاً .. الجارات منتفاتك
والأم الترق وجهها لدرجة أنها لم تستم لطفل منذ ربع
ساعة كاملة ..

في الفراش تجلس (رالية) كملكة منوجة .. ساحبة
هزيلة لكنها بخير .. وكنت تبسم بتلك الطريقة الواهنة
الغفور التي تبسم بها الأم التي ولدت ثوبين منذ نصف
ساعة .. فقط لم يكن الثوبان معها في الفراش .. طبعاً
شعرها مبهر وأثار الشريط اللاصق على قلطرة أنفها لكن
حماهاً دفناً سيزيل كل شيء .. وكما يقولون في العلية :
« ما دام العود موجود .. التحم يوجد » .. المهم أن تكون
هي تلمسها حية ..

فيما بعد .. فيما بعد يمكنني التحدث من أن معها ليس الخضرو ،
وأن عينيها لا تلمعان في الظلام أو أنها لا تعيد التحم
التي .. هذه الأشياء يمكن معرفتها فيما بعد .. ليس الآن ..
انصت بالعموضة وسألتها عما حدث بالضبط ، فكانت
وعيلها لا يمكن لأحد ..

« لا شيء .. فجأة سعلت ثم مدت يدها تنزع لهبوب
(رايل) من أنفها فساعدتها .. وبدا بها تجلس .. بكيت
نذلي على كتفي ثم الخالت تعاناً .. »

ثم تمخضت معاً دلتى على أنها متأثرة فعلاً ..

نظرت إلى التي (سليمان) .. لو كان هذا صحيحاً فإن
هناك شخصاً واحداً له الفضل بعد الله تعالى .. وهذا
شخص مهمل الآن لا يشعر به أحد ..

كن الحظ للعنق صاخباً .. أنف (طقط) وأنف (صو)
من الذين يتون من تحت الأرض .. وعرفت أن الأمر جد
خطير عندما تزايد شرّ التي لصيد الكربون عدوى اللدود ..
عندما لموت أن يتركوتى وشقى .. سيحضرون ثلاثة من هؤلاء
القوم يفتونهم فوقى ..

ولخيراً جاء (مختار) يقاتل امرأة بديلة تطحن حتى
أرشتك لأنها أن تنمقاً وقال لي :

« مقلابة يا (رفعت) اخمن من جاء ليري (رالية) ؟ »

هزرت رأسى في بلاءة فلان :

« مدام (محققة) !! (محققة الفقى) اكنت أعرف
لك مستخرج ! »

طبعاً من الواضح أنني أعرفها وكنت أتولى في الوديان
المقلرة وأعوى مثلاً اسمها .. يجب أن نر .. يجب ..

قلت : (سليمان) الذي يقف كالأبله في ركن :

- « أعتقد أن هذه القصة قد انتهت على خير .. تعال نفر من هنا قبل أن يعرفني على مذبح (نيلس الذلجموني) .. »

قال (سليمان) من دون أن يتسم :

- « وحيتك موجودة ! هناك واحدة بهذا الاسم فعلاً .. »

- « إذن تعال نخرج للهواء الطلق .. »

وفي الشارع المظلم مشياً .. طبعاً لا مجال لكس نطنب من (مختار) أن يرجعنا لذا كان علينا أن نجد طريقة للعودة إلى (المعادى) حيث تركت سيارتي .. كيف ؟ تذكر أن هذا عصر ما قبل مئرو الألفي ..

مشياً صامتين وكل منا يضع خطة للعودة على طريقته ، ولجأة سمعنا سيارة قلعة من الخلف ورأى ظلالاً على الأرض طويلين مخيلين .. ثم سمعت صوت (مختار) يصيح :

- « سلوونكم يا (رفعت) .. لم أتمكن ! »

معتين ركبنا معه ، وانطلق بالمحيرة وهو يتحدث في حرارة عن الحل للموقف وعن هذه الليلة التي لن يتساهلها ما عشنا .. تحدث كذلك عن فشل (سليمان) عليه .. كان يحسبه مجرد

لحمي آخر مثل .. مثل .. ثم ابتلع كلامه وواصل القيادة في صمت وبسرعة جلونية ..

قلت له :

- « على كل حال يمكننا أن نقول بلا خوف إن الفيلادخانية من الألباح .. هذا هو Reductio ad absurdum كما قلت لك من قبل .. »

قال في ضياء :

- « عم تتحدث ؟ لا أذكر هذا المصطلح .. »

قال (سليمان) وهو ينظر خارج النافذة إلى معالم الطريق :

- « Reductio ad absurdum .. أي البرهنة على ضياء الفروضيات السابقة .. »

قال (مختار) وهو يبط شفته في استهتار :

- « لا أبالي بهذه القرطاة .. ما يهمني أن أثبت بخير .. ولديف أخلص من الفيلاد مسكونة أم لا .. لقد انتهت »

مرزنا يدخل عدايات وتحف صغير راق فأوقف السيارة طده ، وهتف :

« سأشتري لك هدية على ذوقى .. »

حاولت أن يتمسك لكن (مختار) كان مصراً
كأخريته .. لا وقت لهذا الكلام .. تريد العودة إلى ديارنا
بنلك عليك لكفه أصر على هذا ..

فأتت للتقى بالسناء :

« لا تحاول مع الأستاذ (مختار) .. إلا لو كان هو مست
أن تقاوم الفوضيات والأعاصير .. ذلك من أنه نصر عظيم
أن تلجأ فى جعله يخرج مالا من حافظته .. »

ودخلنا المحل .. لم يكن التفتي مهتماً بأى شيء من هذه
الأشياء .. لا يريد مزهية أو مروحة صينية أو جرة يونانية
أو مظلة تبع أو تشالاً من عاج .. لقد بدأ الليلة بالنزول
إلى قبر به شياطين ، واستكملها بمدام (لولى القليجوني) .. ثم
أنهاها بالوقوف فى قبضة (مختار) ..

وقلت أشاهد المعروضات .. كانت هناك لافتة كبيرة
كتب عليها :

Caveat emptor

تحذيرة أنها صلاة جديدة على .. هل هى بالإيطالية ؟ سألت
بائعة شاحبة هناك عن معناها فهزت كتفها وقالت :

روايات مصرية للجبب .. ما وراء الطبيعة ٢١٩

« لا أعرف .. العجاجة صاحب المحل علقها .. »

هنا قال (سليمان) وقد سمع محادثتنا حيث وقف فى
ركن المحل :

« إنها باللاتينية .. معناها أن لشراء فى قتهمة مسئولية
المشتري .. حرفياً معناها (فيحترس المشتري) .. »

فى قتهمة عاد (مختار) وهو يسب ويلعن وطلب منا
أن نلتحق به ..

« هؤلاء تصوب .. كان الأكرم لهم أن يخرجوا على الناس
شاعرين السيوف بدلاً من عرض مظلة تبع به ٢٥٠ جنيهها .. »

تبادلت والتفتي نظرة ذات معنى وعشنا للصلاة
أخيراً وصلنا إلى القفلا .. كان (سليمان) قلقاً يرغب فى
العودة لأداء بسرعة ، لهذا ودعت (مختار) .. ولاحظت
فى خبث أنه خائف من التعبيت فى القفلا وحده .. هذا
يسعدنى بالطبع ويعطينى بهجة سادية وحشية .. فأتت له
بلهجة عابرة وأنا أنصرف مع التفتي :

« عندما تسمع خطوات على الدرج فليلاً فلا تغادر غرفتك ..
إن هذه التكتلات لن تتوقف أمام جدران .. لابد أن تكون
حذراً وأن تتذكر أى هول يقع تحت القفلا .. »

قال لي في حقل :

« سأتذكر .. »

« هذا جميل .. إن القبور تعج بقلوب لم يفكرها .. اقترح
كذلك ألا تنظر في أية امرأة ولنت وحدك .. ذات مرة عرفت
امرأة كانت .. »

« كفى !! »

قلت قبل أن أرحل غير مأسوف على :

« سوف أتصل بك لاحقاً .. ثمة أمور يجب أن نتكلم
عليها باستفاضة .. »

- ١١ -

مساء السبت لقلتي ..

لقد أمضيت (مختار) أسبوعاً رهيباً بين المبيت في القلعة
أو عند الخيم .. لكن (راتية) تكلمت باستمرار ..

أجلس مع (مختار) في لوبي القلعة .. ضوء الألياجورة
هو الضوء الوحيد في الغرفة ، والمضاءة مفتوحة .. هو
مقاطع مني يريد لسف رأسي ولنا أحاول إقصاءه بالعكس ..

« أنت مغفل يا (رقت) .. المشكلة أنك تعتقد أن
التشويق يجعلك تبدو أكثر ذكاءً ! »

قلت له في صبر :

« لو كنت أكثر عقلاني حق .. هذه الأشياء لا تقوطني بعد
كل هذه التجارب .. لقلتي لم يدرس اللاهوتية في حياته .. أنا
متأكد من هذا .. دعك من أنه لم يفهم جملاً لاهوتية بسيطة
جاءت على لسانه في يدية معرفتي به .. الأسبوع المنقضي عند
من مثله .. وهو يعرف اللاهوتية بشكل لا بأس به .. هل يدرك هذا
بواحد آخر ؟ واحد وجد نفسه يجيد اللاهوتية لجأه ؟ يقولون إن
عليك أن تثبت في أي شخص يجيد اللاهوتية باستثناء القسيس
لكنوايكي .. إن اللاهوتية مهمة لقراءة كتب المعسر كما تعلم »

صباح في عصبية وهو يضرب الأربعة بقبضته :

« وهل هذا كاف ؟ »

« والجرح في ساعده ؟ لقد كشفت عن ساعده دوى عودته
لأفيس له القهقرى فوجئت ذلك الجرح .. هذا الفتى قبل
لكنكثرت ونظمت منه عهد القهقرى بلتضبط كما حدث مع (كمثل) ..
وهو خدامها الآن .. ثم ماذا عن كتيب ؟ »

كتيب لذي مات مسموما منذ ثلاثة أيام .. ثم يعرف (مختار)
هذا إلا في الصباح عندما خرج للحديقة فوجد كتيباً ميتاً
وجواره تتأثرت قطع من اللحم المعروف .. (مختار) اعتقد
أن هذا الصراخ .. لكثير كنت أملك احتمالات أخرى .. هناك
شخص عرف كم أن كتيب مزعج .. وكم أن كتيب سيهوى
نزوله من النقطة ٣٣ ...

« ليس لديك دليل على أنه فعل هذا .. »

« سوف يأتيك الدليل حالاً .. »

ونظرت إلى ساعتي .. اعتقد أن الوقت قد حان .. ثلاثة
أدواب شدي وقطعت من القهوة .. وعشر شعيرات التزاعها
(مختار) من ضاربه .. لا بد أن هذا الوقت كاف ..

فجأة دوى صوت جرس الإنذار ...

إن (عزلم) الكهريائي قد أدى عمله ببراعة .. لقد أقدم
لني بالطلاق - كعادته في كل شيء - أن الجرس يعلق
بمجرد أن يحاول أحدهم فتح الباب الحديدى .. يبدو أن
جسد المتسلل يعلق دائرة ما ، من ثم يدق الجرس ..

ليس عملاً رديفاً بالنسبة لساعتين لا أكثر ..

صحت في (مختار) أن يركض ليلاحق بالمتسلل فلما لم
استطاع مع حالة كتيب وصدرى وكساحتي .. هكذا تدفق إلى
تخارج بثلاث وثلاث .. بعد ثوان سمعت صوت عراك
وسمعت رجلاً يصرخ .. ثم جسداً يسقط على الأرض ..

كنت قد وصلت إلى الحديقة .. لأرى ثلاثة أجساد في
الظلام .. ثلاثة ؟ الأول كان (مختار) .. الثاني كان الفتى
اللعين .. الثالث كان شيئاً مقيداً لا يتحرك ..

دفوت أكثر وأنتعت قداحتى لأرى ..

رأيت (مختار) يرقد فوق (سليمان) في وضع تشبيك
الكفوف تشهير ، وهذا الأخير بين محاولاً الفرار .. طبعاً كان
(مختار) أقوى وأكثر غضباً لذا كانت نتيجة الصراع
محسومة .. الجسد الثالث كان لثقة مراهقة في ثلاثة عشرة
من عمرها .. مقيدة القدمين والساقين ومكعبة .. لمأدا
اختارها مراهقة ؟ طبعاً ليكون وزنها خفيفاً ..

لقد اغتطفها (سليمان) وحملها حملاً إلى الحديقة،
ويبدو أنه كان ينوى النزول بها إلى البئر فالمعبرة .. لا بد
أن (السهم) قد شقق دماء الحذرى بعد كل هذه الأعيام ..
بالطبع لم يكن (سليمان) راغباً في خطف الفتاة تحطم
سلسلة ظهوره أو تسبب موته بالذبحة الصدرية ..

قلت وأنا لك فوق مشهود المصارعة للمحبب هذا :

« اسمع يا (سليمان) .. أنت تعرف أنني أحبك ..
لا ترغنا على إيذائك .. فنتدخل إلى الفيلة وننتكلم رجلاً
لرجل .. »

أقوم بتحظة ثم هذا وبدأ يبكي .. يبكي بكاء مزمق نياط
القلب كأنه كلب جريح .. لقد فقد السيطرة على عضلاته لذا
أخلى (مختار) سبيله ..

أخرجت قداحتي وأحرقت الحبال التي تقيد الفتاة ثم
انزعجت لشرط اللاصق عن قمها .. نهضت وهي مذهولة
مذهورة لا تصدق ما يحدث .. فقلت لها :

« أنت لا تعرفين أي شيء على الإطلاق عن هذه القصة ..
هل تعرفين هذا القلبي ؟ »

نظرت لنا وهزت رأسها في دعر ، فقلت :

« يمكنك أن ترحلي فإن يضيقك أحد .. لكن أريد أن
تتأكدي أن أية كلمة ستكون خطراً دائماً عليك .. هذا القلبي
يتصل بالشيطنين وهي فتاة على الانكسار ملك في ليلة
الحظة .. أقسم بالله العظيم أنني لا أصدقك ! »

ثم أشرت نحو باب الحديقة وصحت :

« هيا !!! »

لم تكن خيراً وانطلقت تركض نحو الباب ، وسرعان ما
ابتلعها الظلام .. لا أرى إن كنت ستتكلم أم لا ، لكن
أحسني كنت مقنعاً مرعباً بما يكفى .. إنها طفلة والأطفال
لا يتكلمون إلا استبد بهم الخوف .. يجب ألا تتكلم والا وقع
(مختار) في مأزق لأنها تعرف صواله بالتأكيد ..

سألت (سليمان) الباكى :

« من أين جئت بها ؟ »

قال وهو يمشط :

« ففعلت : من شارع القلبي .. ثم يكن هناك أحد في
الشارع ويبدو أنها كانت تزور صديقة لها ، وكنت أحمل في
جيبى لصل ولشرط اللاصق بحثاً عن ضحية .. ضربتها على
مؤخرة عنقها حتى فطئت ثوعى ثم قمتها وحملتني إلى هنا .. »

« لقد صرت رشيقي الحركة .. تحولت إلى رجل صلبت
يجيد التلصص في أسبوع واحد .. لقد جاء دور واحد آخر في
بذور المقبرة ثيلة السبت حاملاً قصيدة لـ (أفيسين) .. »

قل وهو يدارى وجهه في كفه :

« كنت لا تكلمهم حول ما رأيت ! يمكنك أن تجلس هنا وتتكلم
عن تشجاعة ولعمرك وقوة الإرادة ، بينما أوضع تحت ..
ليفتي ما نزلت .. ليفتي ما نزلت ! بهم يستطيعون الحصول
على ما يريدون عندما يريدون .. سوف يفتكحون من
أسرتي وأولاد لولاي إن لم أتب عهد الدم ! »
والمشكلة هي أنني لم أستطع أن أفهمه بالحق ...

- ١٢ -

أمضيت الليل ساهرين ..

لم يحك لنا (سليمان) أي شيء .. ظل صامتاً .. لم يصف
لـ (نفاصيل) إلى ما قاله لنا .. فقط عرفنا أن أسلوب
(أورهوس) هذا فاضل تماماً .. لقد كانوا بحاجة لخادم
جديد وقد وجدوا واحداً ...

أثار قلبي صعته هذا .. ولماذا بعد عرفت أنني كنت محقاً ..

كنا قد ربكنا كل شيء .. فكيف لمستولية يقع على
(مختار) .. ثم بعد ذلك مجال المزاج .. إن هذه الكائنات
قوية جداً .. أعتقد أن التحل الوحيد هو هدم المقبرة التي
تتخذها مسكناً لها .. هذا لن يقضى عليها لكنه سيغير
شملها ، وسوف تضطر إلى العثور على ملجأ آخر ..

قلت لـ (مختار) :

« لدينا خيط مهم .. هو أن (كامل ليدراوى) دفن في
ذلك القبر .. سوف نعرف المكان من (سلامة) الطاهي أو
من أي واحد يكون قد حضر الجلسة من باب الثواب ..
نحن نعرف أن المقبرة مهجورة .. أي أنها لا تستعمل للدفن

ولهم هناك من يحتج على هدمها .. آخر من دفن فيها
(كامل) ولن يسأل أحد عن رقبته »

« مذكرات (كامل) تؤكد وجود آخرين .. »

« اعتقد أنهم لم يدقوا بشكل رسمي .. ربما دفعهم
خدم الآخرون .. والأنا كنت تزعم لك صاحب نفوذ .. نريد أن
نستعمل نفوذك لنهدم هذه المعبرة المهجورة التي لا يعرف
أحد من دفن فيها .. نريد تسويتها بالأرض .. »

حك رأسه وشغف :

« هذا صير .. »

« هو صير لكن يجب أن يتم .. »

ثم أضفت في تحفظ :

« نحن لنأخذ أي عمل هذا بشكل غير قانوني .. أي
أن نرسل من يتسللون لنهدم المعبرة في ظلام الليل .. أرجو
أن نستفيد التحول القانونية أولاً .. أنا أعرف أنك قادر على
ذلك يا (مختار) .. فآلت محام وتعرف الدلائل القانونية ،
كما أنك خبيرة الحياة جيداً .. »

نظر لي (سليمان) بعينه القلقتين وتساؤل :

« هل لهم بيت لكائنات يحميها منها ؟ لم أن هذا سيئ
جلوتها ؟ »

قلت في صبر :

« لا أضمن شيئاً يا بني .. فقط لا أرى حلاً آخر .. »

كنت هذه هي الإجابة الخطأ .. لقد أطرق برأسه وحسينه
يستشعر الفلك ، لكنه في الحقيقة كان يستشعر الناس .. فأتى
أن ألمح ذلك التعبير على وجهه .. تعبير القدر في مصودة ..
تعبير المحكوم عليه الوقف أمام جدار بينما دقائق التطويل
تدفق من نهايتها ..

ملا الصمت ..

بعد قليل أعلن (مختار) أنه سيلعل ما يوسعه ليجد
المعبرة .. وما يوسعه كي يهدمها .. وهكذا افتراضاً ..

قلت لـ (سليمان) قبل أن أتركه :

« أنت عبقري وأمر الإزادة .. أعرف أنك ستتصر ..
لن تسمح لهذه الكائنات بأن تلوث روحك .. عذرك وفكر
في كلباني .. أعدك أنها لن تكون موجودة ليلة السبت
تقديماً .. أحدث عن الكائنات لا عن كلماتي طبعاً »

وقتها لم تكن أعرف أن (سليمان) قرر أن هذا هو
السبت الأخير له ، ولم يكن يصغي لحرف مما قلت ..

لقد عاد ذلك الفتى اليامن القديم الذي ابتلع أكراس
علاج السكر في الكافيتريا .. عاد ليظهر في الصورة .. عاد
بقوة .. كان على أن أستلج هذا وأن أفضى كل حقيقة مع
(سليمان) . فقد تصرفت بحماسة للعبادة والخرصت أنه
سينتصر لمجرد أنه شديد النقاء .. من جديد كنتشف أن
العبرة لا تكمن على الاستمرار لنفسى .. على الأرجح تدل
على العكس ..

أعتقد أن الباب السحري الذي يقوده إلى الفرار لم يغلّق
قط .. نحن حسبناه تغلق ، لكنه ظل مورباً ينتظر
للرصة ..

وقد وجدها

- « هذا الفتى يتحرك من منطلق حماس الشباب ، مع
تقدير من الرغبة في الاستشهاد .. إنه ليس معسولاً عن
أقواله »

كنت جالسا مع (مختار) في ذلك اليوم نتساءل عن
سبب الخفاء (سليمان) .. لماذا لم يعد ليقابلنا .. الحق
أننى لم أعد أتق به ولم أعد مرتاحاً لإصلاحه على خططنا ..
لقد صار خدامهم وأعطاهم عهده .. ولعل الضر أقوى تأثيراً
فى نفس من نواص الصدقة .. لكننى قدرت أنه سيعود
كما كان إذا زلت الكتلت ...

على الأقل نعرف أنه لم يعد للمقبرة .. المقبرة لتنى لم
يعد لها متعل إلا من الحديقة .. وهذا سوف يطلق عدة
أجرام ..

فجاء صرخ (مختار) وهو ينظر من الشرفة :

- « ما هذا ؟ »

لهضت لأخطر معه فرأيت منظرًا عجيبيًا ..

كان هناك مخان أخضر عجيب يخرج من الحديقة .. يستحدي
فى النقطة ٢٢ .. مخان له شكل متغير غير مستقر .. تارة
هو مخان ، وتارة يحدك عنك فتحسبها لجسداً كسريع .. ثم
تتبدل البرق فى تارة واحدة متسارعة .. وفجأة بدأ جرس
الإنذار يرق .. يرق بلا قطاع ..

وفجأة سمعنا الدفقات .. رأينا مياه حمام السباحة تغور ثم ترتفع .. تغور ثم ترتفع .. وهذا كان للماء مغالب تمتد ثلاثة أمتار إلى الهواء ثم تعود لتسكن .. ثم تتخذ شكل الدخان أو البركان .. ومن جديد ينبعث الدخان الأخضر من سطح المياه .. إنه ينتشر كالوباء فوق عشب الحديقة .. الأرض ترتج تحت أقدامنا في ضربات متوالية .. ضربة .. ضربة .. ضربة ..

هاتف (مختار) من جديد :

« ماذا يحدث ؟ »

قلت وأنا أتمسك :

« إنهم يغادرون .. لقد تم الأمر ! »

قال هامسا :

« نعم .. لا بد أن العبارة تهبط في هذه اللحظة بالذات ؟ »

إنهم يخرجون من المخاض الأخرى .. »

ووقفنا محاولين التماسك .. إما أن ينتهي كل شيء بالنسبة لهم أو ينتهي بالنسبة لنا ..

رائحة الكبريت هذه .. رائحة الكبريت !

روايات مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة ٢٣٣

البيت الذي ضمت فيه تلك الكائنات نحو مئة عام قد سوى بالأرض .. لا بد أن (بلشور) ثقيلا يتوغل الآن في تلك البقعة الزهيدة .. لا بد أن عشرة عمال يحفرون يمعولهم هناك .. لا بد أن أقياس الخرسانة تصب الآن ..

همس (مختار) من بين شفتيه وهو يراقب الدخان الذي يتخذ شكل وحوش متضارعة أو شكل طيغان أو شكل غابة خضراء أو شكل .. شكل دخان :

« برغم هذا سوف أخلص من هذه الليلة .. »

« تصحك كثيرا أن تفعل .. »

« فما خائف .. »

« لن نخاف أبدا كما أخاف أنا .. قتل آية لكرسي »

وفكر في (رائية) والآخرين .. »

ومرت بقلبي من التوتر .. كان شعور التكرار الذي

التي بلا سبب يتلاشى تدريجيا ..

بعدها همست وأما خاتم القوى :

« اعتك أن الأمور تهدأ .. إنهم قد رحلوا فعلا .. »

« إلى أين ؟ »

« إلى حيث تذهب الشياطين التي أزيل مسكنها من
عني وجه البسيطة .. »

سوف يصل صبحي نزل الأثاث صباحاً ..

في ليلة المفارقة أضرت (رانية) على أن تمضي لبيتها
الأخيرة في الليل .. كانت تريد أن تدع عهد الرعب ..
وكان (مختار) قد أرغمني على المبيت في الليل معهم
لأنه يخشى أن يحدث شيء هذه الليلة بالذات ..

ثم أعرف أنها في الواحدة صباحاً - وقد نام الجميع -
قامت بأغرب شيء يمكن تخيله بعد هذه الأحداث .. لقد
جلبت المرأة والشمعة وانتظرت حتى انقلمت الآسوار ، ثم
لزلت لأسفل الدراج ومن جنيذ جربت لعبة (ماري الدموية)
التي تربها وجه عريس لمستقبل ..

كانت تريد أن تتأكد من أن الوجه الذي رأيته في امرأة
قد اختفى حقاً ..

في الليلة صباحاً دقت باب غرفتي فنهضت لافتح ..

وجدتها تلعب قيص النوم وتعمس بالشمعة وامرأة ..
رسالة واضحة عما كانت تقوم به .. صحت لي جزع :

« أنت مخلولة فعلاً .. لو أن غيبوبة عاونتك بسبب هذا
الضغط النفسي لتتعدد على صلك .. ماذا تحاولين إنيته ؟ »
ثم ترمش عيناها وإلما قالت كأنها متومة مقاطيسياً :

« لم يكن الوجه الذي رأيته وجه شيخ .. كان بالفعل
وجه عريس لمستقبل ! إنه وجه (سليمان) ! »
وارتجفت ..

لهذا بدا لي الوجه مأوفاً في تلك الليلة .. هات وجه
(سليمان) وانزع عنه العويشات وأضض إحدى عينيه ..
ثم اجعته يتلفح بالعنق ..

هذا هو الوجه الذي رأيته أنا نفس ..

لم يكن وجه (كامل) .. بل وجه (سليمان) ! عريس
للمستقبل كما قالت ..

اعتقد أنني أعرف مكان (سليمان) الآن ..

عرفت هذا ساعتها ثم قرأت الصحف بعد يومين .. وجه
الغريق الذي نشرها صورته كان ذات الوجه الذي رأيته في
امرأة .. ظاهرة النصين تحدث في بشرة الجثة أشياء
معقدة ..

لماذا فعلها ؟ لماذا اختار هذه الطريقة بذلك هو الذي
كان لا يفهم كيف ينتشر إنسان غرقاً ... ؟
ثم ما معنى هذا كله ؟

لماذا قدم لي الوجه في المرأة حل لغز الأرقام ؟ هل كان
هذا وجه سليمان بعدما عرف السر ؟ سليمان وقتها لم
يكن يعرف أي شيء عن القصة ، ولم يكن قد قابل
الأسيرة ..

هل قصت لنا المرأة وجهاً أتينا من المستحيل يخبرنا بها
عرفه فيما بعد ؟ أم كان (سليمان) شيئاً منذ البداية ؟ هل
وجد حقاً ؟ أم هو مجرد هذيان ؟
لن أعرف الإجابة أبداً ..

إنني أشعر بمرهق ، وقد اختلطت الأمور في ذهني ..
سوف أحتاج إلى وقت طويل حتى أشفى من جراح فقدتي
لهذا الشاب ..

سوف أحتاج لوقت طويل كي أنام من دون كوابيس أرى
فيها (أقصيص) وقد ثرر أن يلاحظني ..

سوف أحتاج لوقت طويل حتى أنطم أن أمر لسان هذه
الغيبلا التي لم تجد مشترياً بعد من دون أن أرتجف ..
سوف أحتاج لوقت طويل حتى أنسى ...

لكن (سلم) و (سلمى) كنا يحملان في قصة رهيبية أخرى ..
يحكيان لي عن أرض الظلام التي وجدنا نفسيهما فيها ..
لكن هذه قصة أخرى ..

د . رفعت إسماعيل

لقاهرة

تمت بحمد الله

المصادر

- محمد الشنوي : قرون السحر . القراء . ١٧٤ . دار المعارف بمصر . ١٩٥٧
- د . عبد الرحمن نور الدين : العجم والسحر . دار الهلال . ١٩٩٠
- د . جمال عبد الناصر : أفعة الرعب . المكتبة القومية . ١٩٩١
- الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٩١
- عدد من مواقع الإنترنت